

مرصد

كراسات علمية ٤٤

كيف يفكر الجهاديون الأيديولوجية والدعاية

تأليف

إيمان البدوي

ميلو كوميرفورد

بيتر ويلبي

ترجمة

سمية عبد الوهاب

مرصد ٤٤

عدد فبراير ٢٠١٨

كراسات علمية محكمة تعنى برصد أهم الظواهر الاجتماعية الجديدة، خاصة في الاجتماع الديني العربي والإسلامي، تصدر عن وحدة الدراسات المستقبلية - برنامج الدراسات الاستراتيجية، بمكتبة الإسكندرية.

رئيس مجلس الإدارة

مصطفى الفقي

رئيس التحرير

خالد عزب

سكرتارية التحرير

أمينة الجميل

مراجعة الترجمة

خلود سعيد

التدقيق اللغوي

فاطمة نبيه

التصميم الجرافيكي

آمال عزت

الآراء الواردة في «مرصد» تُعبّر عن رأي الكاتب فقط، ولا تُعبّر عن رأي مكتبة الإسكندرية.

كيف يفكر الجهاديون الأيدولوجية والدعاية

تأليف

إيمان البدوي

ميلو كوميرفورد

بيتر ويلبي

ترجمة

سمية عبد الوهاب

النص الأصلي باللغة الإنجليزية، وصادر عن مركز الدراسات الدينية والجيوسياسية بالمملكة المتحدة.

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة-أثناء- النشر (فان)

البدوي، إيمان.

كيف يفكر الجهاديون الأيديولوجية والدعاية/ تأليف إيمان البدوي، ميلو كوميرفورد، بيتر ويلبي؛ ترجمة سمية عبد الوهاب؛ مراجعة ترجمة خلود سعيد. - الإسكندرية، مصر: مكتبة الإسكندرية، برنامج الدراسات الاستراتيجية، وحدة الدراسات المستقبلية، 2018.

صفحة؛ سم. (مراسد؛ 44)

يشتمل على إرجاعات بيبليوجرافية.

تدمك: 978-977-452-464-0

1. الإسلام والسياسة. 2. تنظيم القاعدة. 3. الجهاد في الإسلام. 4. الإرهاب -- العالم الإسلامي. أ. كوميرفورد، ميلو. ب. ويلبي، بيتر. ج. عبد الوهاب، سمية. د. سعيد، خلود. هـ. مكتبة الإسكندرية. برنامج الدراسات الاستراتيجية. وحدة الدراسات المستقبلية. و. العنوان ز. السلسلة.

2018397614299

ديوي - 320.557

ISBN 978-977-452-464-0

رقم الإيداع: 2018/4372

© ٢٠١٨ مكتبة الإسكندرية.

الاستغلال التجاري

يحظر إنتاج نسخ متعددة من المواد الواردة في هذه الكراسة، كلها أو جزء منها، بغرض التوزيع أو الاستغلال التجاري، إلا بموجب إذن كتابي من مكتبة الإسكندرية. وللحصول على إذن لإعادة إنتاج المواد الواردة في هذه الكراسة، يُرجى الاتصال بمكتبة الإسكندرية، ص. ب. ١٣٨، الشاطبي ٢١٥٢٦، الإسكندرية، مصر.

البريد الإلكتروني: secretariat@bibalex.org

المحتويات

٧	ملخص تنفيذي
١٧	مقدمة
٢١	الإطار التحليلي
٢٤	منظومة الأفكار
٢٤	القيم
٤٥	الأهداف
٦١	السلوك
٧٤	الهوية الجماعية
٨٧	النصوص القرآنية والأحاديث والعلوم الفقهية
٨٧	كيف تستخدم الجماعات الجهادية النصوص القرآنية والأحاديث؟
٩٢	كيف تستفيد الجماعات الجهادية من النصوص الفقهية؟ أو ترفضها؟
٩٤	المنهجية
١٠١	المؤلفون
١٠٢	شكر وتقدير
١٠٢	نبذة عن مركز الدين ودراسات الجغرافيا السياسية

ملخص تنفيذي

السياق

لا يمكن مواجهة عقيدة ظاهرة التطرف العالمي دون فهمها أولاً؛ حيث إن اقتلاع هذا المزيج من الفكر العقائدي والأهداف السياسية يجب أن يتم من خلال المراجعة الدقيقة والمجابهة الفكرية المستديمة.

في أعقاب هجمات 9/11 ضم تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن ما يقرب من 300 عنصر مسلح، في حين يضم تنظيم داعش وحده حالياً نحو واحد وثلاثين ألف مقاتل على الأقل في كل من سوريا والعراق. يُعد إدراك واستيعاب الأيديولوجية التي تُحفّز هذه الظاهرة أمراً ضرورياً لاحتواء التطرف العنيف ومواجهته. لكن هذه الأيديولوجيات العنيفة لا تنبئ في الخلاء؛ فالنار يلزمها الهواء كي تزداد اشتعالاً. يتضافر نطاق واسع من الثقافات السياسية مع فرضيات الأيديولوجية الجهادية دون أن تشترك معها في التطرف أو توافقها على أساليب العنف التي تنتهجها. فعلى مدار العقد الماضي أظهرت استطلاعات الرأي ما يلي:

- يرى أكثر من نصف المسلمين في تسع دول ذات أغلبية مُسلمة أُجريت عليهم استطلاعات الرأي أنهم سيعيشون حتى يشهدوا نهاية العالم. يستغل تنظيم داعش حالياً هذا الاعتقاد، ويقاوم لأجل التعجيل بنهاية العالم المزعومة.
- يتفق أكثر من ثلثي السكان في ثلاث دول ذات أغلبية مسلمة مع فكرة الحاجة إلى الخلافة. ويدّعي الجهاديون اليوم أنهم يلبنون هذه الحاجة.
- لا يعترف 40٪ على الأقل من المسلمين السُنّة في خمس دول بالشرق الأوسط وشمال إفريقيا بالشيعة كمسلمين. ويقتل الجهاديون الآلاف من الشيعة حالياً.
- اتفق نحو ثلاثة أرباع من أجابوا عن استطلاعات الرأي في أربع دول ذات أغلبية مسلمة على ضرورة «مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية والتأكيد على كرامة الشعوب الإسلامية». يقاوم الجهاديون حالياً الغرب وحلفاءه لأجل «إنقاذ العالم الإسلامي» من المؤامرة «الصليبية-الصهيوشيعية».

نعلم أن هذا لا يُمثّل تفسيراً مُرضياً؛ حيث إن المسلمين أنفسهم هم أكثر من يعانون من الممارسات العنيفة للجهاديين. لن يمكننا التصدي لهذا الفكر أو اقتلعه إلا لو كنا أمناء في تقديرنا لطبيعة الأيديولوجية الجهادية ومدى تقبل الناس لها.

في هذا الإطار قام مركز الدراسات الجيوسياسية بدراسة وتحليل عينة دراسة شملت ١١٤ مصدرًا إعلاميًا في الفترة بين إبريل ٢٠١٣ وصيف ٢٠١٥، من ثلاث جماعات منتمية إلى السلفية الجهادية؛ وهي: تنظيم داعش وجبهة النصرة وتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية.

ويُقدّم هذا التقرير قاعدة من الأدلة حول ما يفترضه الكثيرون بالفعل؛ وهو أن السلفية الجهادية تعد قوة محرّكة أساسية وراء ممارسات العنف والتطرف؛ ومن ثم يجب مواجهتها أولاً لأجل دحض هذا العنف.

الهدف

تحديد الأيديولوجية التي تتبناها الجماعات الثلاث بدقة وفقاً لمصادرهم الإعلامية؛ وذلك لإيجاد روايات مضادة فعالة من قبل عموم المسلمين والحكومات والمجتمع المدني.

أهم النتائج

- هناك فرق واضح بين الأيديولوجية السلفية الجهادية، والإسلام الذي يمارسه أغلبية المسلمين حول العالم؛ ففكر السلفية الجهادية يستند إلى مبادئ مشوهة من الدين الإسلامي ينتج عنها رأي أوحد وحاسم حول الممارسات الجهادية العنيفة.
- تتبنى الجماعات الثلاث أيديولوجيات متطرفة متشابهة؛ متحديّةً بذلك الفكرة القائلة بأن «تنظيم داعش يعد أكثر تطرفاً من القاعدة».
- تظهر القيم الأيديولوجية، التي تُشكّل الأسس الأخلاقية لسلوكيات وأفعال الجماعات الثلاث في ٨٠٪ من دعايتها الإعلانية؛ ويشمل هذا القيم العقائدية الإسلامية بنسبة ٦٢٪، وقيم الشرف والتضامن مع المجتمع الإسلامي بنسبة ٦٨٪، والإشارات الصريحة لنهاية العالم بنسبة ٤٢٪.

- وتوضح أهمية التوحيد في عددٍ من الموضوعات المتناولة في الدعاية والمسارات المختلفة للأيديولوجية: إله واحد ودولة واحدة وأمة واحدة (المجتمع الإسلامي عبر العالم)؛ بحيث تظهر هذه الموضوعات في دعاية الجماعات بنسبة تفوق ٧٤٪.
- ويسود الدعاية تأكيد دائم على نُبل مفهوم الجهاد؛ حيث تقدمه دائماً في سياق الشهامة والفروسية، مع صور للمقاتلين يمتطون الجياد أو الإشارة إلى صلاح الدين الأيوبي. وتُشكّل هذه الإشارات نحو ٧١٪ من الدعاية.
- يعد مفهوم الشرف والتضامن مع الأمة من الأمور الرئيسية؛ حيث يظهر في ٦٨٪ من الدعاية. وتشكل فضيلة الشهادة - وهي الفضيلة الشائعة في الأديان كافة، ولكنها تنطبق هنا على الموت على أرض المعركة - جزءاً أساسياً من مفهوم الشرف؛ حيث تظهر بشكل مباشر في الدعاية بنسبة ٣٢٪، وبشكل ضمني بنسبة ٦٨٪.
- وتظهر التبريرات من القرآن أو الحديث أو الفقه بنسبة ٨٧٪ من الدعاية؛ حيث احتوى أحد بيانات داعش على ٢٤ إشارة للقرآن الكريم بحيث مثّلت ٢٦٪ من البيان وشملت ١٣ من سور القرآن الكريم.
- بالرغم من أنه عادةً ما تؤخذ التبريرات القرآنية خارج سياقها مؤكدةً الادعاء القائل بأن هذه الجماعات تنتقي الآيات التي تدعم مواقفها، فإن الأيديولوجية تستخدم النصوص الدينية بتوسع؛ فقد تقتبس نصف المادة الدعائية من القرآن، فقد تمت الإشارة إلى ٦٣ سورة من إجمالي ١١٤ سورة.
- تستخدم الأحاديث النبوية بقدرٍ أقل مُقارنةً بالتبريرات القرآنية؛ حيث لم تتعدّ نسبة ٢٢٪ من العينة. ويبدو أن الطرق التي يتم بها توظيف الأحاديث النبوية في الدعاية تُؤكّد الاتهام الموجه للجماعات السلفية الجهادية بأنها تنتقي الأحاديث لثلاثم أهدافها وآراءها. فالأحاديث المصدقة يتم نقلها مع ذكر كل التفاصيل الخاصة بمصادرها؛ أما تلك ذات المصادر المشكوك فيها فيأتي ذكرها بشكل مبهم.

- عندما يتم توجيه انتقادات لأفعال هذه الجماعات من قِبل جماعات السلفية الجهادية المعادية أو غيرها، يصبح القرآن والأحاديث النبوية أولى النقاط المرجعية للرد على هذه الانتقادات. ومن الجدير بالذكر استخدام الأحاديث النبوية تحديداً بكثرة عندما يكون الهجوم من أتباع الأيديولوجية نفسها.
- إلا أن الرفض السلفي للكثير من الفقه الإسلامي واعتباره «بدعة» (يشير تنظيم داعش إلى أهم الفقهاء كـ«حمير العلم») يتنافى مع إشارتهم في الدعاية إلى ٤٥ فقيهاً من المذاهب الفقهية الرئيسية كافة، فيما عدا المذهب الحنفي.

تظهر الأفكار الأيديولوجية السالف ذكرها في الدعاية مع استخدام منطق داخلي واضح، إلا أن تطبيقها غالباً ما يكون غير متسق. وتُشكّل هذه الأفكار - سواء دُكرت بشكل صريح أو ضمني - نوعاً من التسلسل الهرمي، تمثل القيم الأيديولوجية فيه أساساً لأهداف هذه الجماعات والشكل الأمثل لأفعالها ومن ثمّ هويتها الجماعية. وتجتمع هذه الأفكار معاً مُكوّنة أيديولوجية مترابطة تُمثّل السلفية الجهادية.

وتُعد هذه الأيديولوجية المحرك الرئيسي وراء أفعال هذه الجماعات؛ إذ يهاجم بعضها بعضاً ليس لاختلافات أيديولوجية، ولكن بسبب الروايات المختلفة؛ أي طرق تطبيق الأيديولوجية على أرض الواقع. لا يمكن هزيمة الحركة السلفية الجهادية بالتركيز على هذه الروايات؛ وإنما يمكن هزيمتها فقط في حالة فهمنا لهذه الأيديولوجية والانخراط فيها. يعمل هذا التقرير على تفسير هذه الأيديولوجية وفهمها من خلال التحليل الكمي والكيفي التفصيلي.

نتائج البيانات (الإشارات الصريحة فقط)

تشير هذه النسب المئوية إلى المصادر كافة (تتداخل هذه الموضوعات، ويجب ألا تصل إلى نسبة ١٠٠٪).

القيم العقائدية (٦٢٪) الشرف والتضامن (٦٨٪) نهاية الزمان (٤٢٪)	القيم (٨٠٪)
تأسيس دولة الخلافة (٣٨٪) العدو (٦٦٪) نهاية الإذلال (٣٤٪)	الأهداف (٦٦٪)
نبل الجهاد (٧١٪) إذلال الأعداء (٢٣٪) المنهج النبوي (١٤٪)	السلوك (٨٢٪)
الأمة (٦٦٪) حلفاء الله (٤٨٪) التكفير/ الطائفية (٢٤٪) المستضعفون (٢٢٪)	الهوية الجماعية (٨٩٪)
الأحاديث النبوية (٢٢٪) القرآن الكريم (٥٠٪) الفقه (٢٦٪)	اقتباسات من النصوص الدينية أو الفقه (٨٧٪)

جدول ١: نتائج البيانات.

التوصيات المطروحة

وفقاً لما توصل إليه البحث من نتائج، فيما يلي بعض التوصيات:

١- استيعاب الإطار الخاص بالأيديولوجية الجهادية

يُمثّل الإطار البسيط والواضح للقيم والمبادئ الإسلامية أهم أداة لدى الجهاديين، وهو أساس أيديولوجياتهم وما يجعل أفعالهم على وجه الخصوص عُرضة للإدانة من خلال استخدام النصوص الدينية. وتسعى الجماعات الجهادية إلى البساطة؛ وكلما اضطروا إلى الدفاع عن تفسيرهم للقيم الإسلامية، أصبح الحفاظ على هذه البساطة أصعب.

ويجب على الروايات المضادة:

- عرض التناقضات ونقاط الضعف الكامنة في استخدام القيم الإسلامية، مثل الاستخدام غير المنظم لمفهوم الإيمان والإحسان.
- استهداف النقطة التي تستند فيها الدعاية الجهادية إلى قيم العقيدة الإسلامية للتقليل من شأن الأيديولوجية بأكملها.
- استغلال العداء بين الجماعات السلفية الجهادية، الأمر الذي يُعد الأكثر فعالية في تحديد الفجوات بين الأيديولوجية والأفعال. ويشمل هذا ادعاءات جبهة النصرة بأن تنظيم داعش يُمثل «سيف» الأمة وليس «درعها»، وإصرار داعش على تناقض مواقف جبهة النصرة تجاه الأقليات مثل الدروز.

٢- خلق إطار بديل بسيط لتطبيق المبادئ والقيم الإسلامية

تدّعي أيديولوجية السلفية الجهادية تقديم إجابات تستند إلى القيم الإسلامية. ويجب أن يتم مواجهة هذا الادعاء باستخدام بدائل تستند هي الأخرى إلى القيم الإسلامية. لن ينجح البديل الذي يُؤكّد على قيم مثل الديمقراطية فقط دون التركيز على دعم الفكر الديني القوي الذي يتناول مفاهيم مثل التوحيد والشرك ومواجهة الإغواء الجهادي. إن طعن المبادئ الدينية يقوي

الأيديولوجية الجهادية؛ ومن ثمَّ فإنَّ الإجابة يجب أن تكون مُستقاة من الفكر الديني الإسلامي السائد نفسه وتوفر بدائل. ويجب أن يتم هذا بسرعة وبساطة ومن خلال قنوات وأدوات تخاطب الجيل الحالي.

ويجب على الروايات المضادة:

- تجنب الإساءة إلى القيم الإسلامية أو تجاهلها؛ حيث إنه يُثري الروايات الجهادية.
- إسناد جميع البدائل إلى أطر إسلامية، وإدراك الرغبة القوية في تحقيق الشرف والتضامن مع المقهورين.
- الإشارات المتعددة للنصوص الدينية لمعارضة مبادئ الأيديولوجية ومجابهتها، وتوفير تفاسير واضحة مساوية لتلك التي يقدمها الواعظون من الجهاديين.

وعلى الرغم من أن الآراء الدينية الأكثر تحفظًا قد تُسيء إلى الأفكار الليبرالية، فإنه يجب على الحكومات والقطاع الخاص تمويل مبادرات يقوم عليها علماء مسلمون مُعتمدون، مثل منتدى تعزيز السُّلم في المجتمعات الإسلامية الذي أسسه الشيخ عبد الله بن بيه؛ حيث إن المجتمعات الإسلامية في شتى أنحاء العالم بحاجة إلى المزيد من المشروعات المماثلة.

ويجب على الزعماء الدينيين:

- العمل على زعزعة تأثير الالتزام بالتفسير الحرفي للنصوص الدينية؛ وذلك عن طريق تعزيز تطبيق تأويلات مثل مقاصد الشريعة؛ وهو الأمر الذي يسمح بوجود أشكال مختلفة للحكم بديلة لفكرة الخلافة.
- العمل على عرقلة الترويج لفكرة الدولة الإسلامية المثالية التي تدعو إليها مجموعات مثل الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية.
- دعم وتعزيز نماذج الحكم في الدول ذات الأغلبية المسلمة، التي تعمل على مكافحة التطرف، مثل تطور الديمقراطية في تونس.

٣- إصلاح أدوار كل من الأنظمة التعليمية والنماذج القدوة والممولين في الحشد لمكافحة الإرهاب

تبلغ نسبة الشباب ممن لم تتجاوز أعمارهم ٣٠ عامًا ٦٢٪ من التعداد السكاني للمسلمين في العالم، الذي يبلغ نحو ١,٦ مليار نسمة. ونسبة من لم تتجاوز أعمارهم ٢٥ عامًا بالشرق الأوسط ٦٠٪. ويُعد المشاهير من الرياضيين والفنانين فاعلين مؤثرين لا يتم تفعيلهم لمكافحة التطرف. ويجب على الروايات المضادة استغلال قوة الثقافة الشعبية وسلطة المرجعيات الدينية لكي تحقق نجاحًا. وفي نفس الوقت، تفعيل دور المجاهدين العائدين في نزع الشرعية عن هذه الأيديولوجية.

يجب على المجتمع المدني:

- إطلاق الشعارات والحملات الشعبية ووسائل الاتصال سريعة الانتشار للقضاء على «الأثر اللطيف» الذي تسعى بعض الجماعات الجهادية إلى تحقيقه.
 - تعزيز مبادرات مثل حملة «هذا ليس نحن» التي أُطلقت في باكستان عام ٢٠٠٦، وحشدت موسيقيين لإبعاد عامة المسلمين عن التطرف. ولقد انضم إليها ودعمها نحو ٦٣ مليون شخص.
 - تسليط الضوء على روايات من عادوا من القتال في صفوف هذه الجماعات لنزع الثقة عن أيديولوجية السلفية الجهادية. فالعديد ممن انضموا إلى الجماعات الجهادية استحوذوا على قلوب عامة الناس؛ ومن ثم تم تضخيم تجاربهم وتطبيقات فكرهم على أرض الواقع لتصبح أكثر تأثيرًا.
 - التأكد من أن الروايات المضادة ليست موجهة للشباب فحسب، بل مُصممة لمواجهة ظاهرة هجرة السيدات والعائلات إلى البلدان التي تخضع لسيطرة الجماعات الجهادية.
- تتمتع دور النشر السلفية في الخليج العربي بانتشار واسع وموارد مالية كبيرة. ومع ذلك، فإنهم لم يراجعوا سوى القليل من أدبياتهم، خاصةً التي تؤكد على ضرورة التمسك الحرفي بمفهوم توحيد الحاكمية والمنتشر في الأنظمة التعليمية حول العالم.

وينبغي للحكومات:

- جعل الضغط على هذه الجماعات بنداً أساسياً في الاجتماعات الثنائية مع الدول المعنية، وتشجيع وتحفيز تغيير المناهج ومراجعة الكتب المدرسية.
- يجب ألا ينجح الزعماء السياسيون من توضيح أن الفهم المغلوط للفكر الديني هو سبب الإرهاب في العصر الحديث. وكان لكل من ملك المملكة الأردنية الهاشمية ورئيس الوزراء البريطاني دافيد كامرون السبق في هذا السياق.
- تتطلب هذه المعركة الفكرية تمويلًا كبيرًا، فيجب:
- أن يكون التمويل على نطاق واسع، وأن تتنوع مصادره بين أشخاص ثقات ومؤسسات أسرية في الشرق الأوسط وآسيا، حريصة على الاستثمار في تفسير الإسلام كما هو متأصل في المبادئ الدينية السائدة.
- دعم مبادرات مثل صندوق مشاركة وتطويع المجتمع العالمي، التي تعمل على الدعم المادي للمبادرات للتأثير في المجتمعات التي يهددها خطر التطرف.
- يؤدي الممولون الدوليون مثل الأمم المتحدة والبنك الدولي ووكالات المعونات والمساعدات الوطنية والمؤسسات الخيرية مثل مؤسسة جيتس، دورًا هامًا أيضًا.

٤- تفويض اليقين المتأصل في الأيديولوجية السلفية الجهادية عن طريق تقديم إجابات شاملة ومفصلة وفي متناول الجميع

تعتمد الجماعات السلفية الجهادية على يقين أتباعها بصحة آرائهم من خلال إنشاء سرديات «نحن» في مقابل «هم». وعادةً ما تُعزز الانتقادات الخارجية هذه الثنائية. ومن الضروري إذا زرع بذور الشك للتقليل من قوة هذه الجماعات ومن ثمّ وقف العنف.

ويجب أن تتنافس هذه السرديات البديلة بعضها مع بعض من أجل إعداد وتطوير رسائل أقوى. فالساحة مليئة بالأصوات على الرغم من ضيقها. وتُعد الردود الحكومية المعلنة في هذا الصدد تحديدًا ضعيفة؛ حيث يسخر منا الجهاديون على أفضل الفروض، أو يوظفونها لدعم

أفكارهم على أسوأها. ويجب أيضًا منح الردود الصادرة من عامة المسلمين التي تتحدى الإطار الأيديولوجي للسلفية الجهادية بشكلٍ مباشر قدرًا من المساحة والدعم، وتوفير بديل إيجابي على نفس القدر من الصراحة والمصادقية.

ويمكن أن تسهم شركات التكنولوجيا في هذا السياق:

- بدلاً من إزالة المحتوى المتطرف فقط، الأمر الذي قد يعد - وفقاً للتصور الثنائي لدى الجهاديين - نوعاً من مصادرة «الزنادقة» للـ«حقيقة» الوحيدة، يمكن للمنصات الإلكترونية مثل تويتر وفيسبوك ويوتيوب وجوجل أن تستغل خبراتها لنشر مادة دينية موثوق بها يمكن تداولها للرد على أفكار الجهاديين.
- يمكن لمحركات البحث ومواقع التواصل الاجتماعي ومشاركة الفيديو استخدام خوارزميات وأنظمة العلامات الإيجابية لضمان إتاحة المحتوى بقدر المستطاع، وكذلك التحذير بأن بعض مفردات البحث قد تؤدي إلى نتائج ذات محتوَى متطرف.

مقدمة

عندما أطلق سيف الدين رزقي اليعقوبي الرصاص على ثمانية وثلاثين سائحًا في شاطئ أحد المنتجعات بتونس يوم ٢٦ يونية ٢٠١٥، لم يكن يعد نفسه قاتلاً بل شهيد. وكان موقفًا أن القضية التي ماتوا - ومات - من أجلها تستحق ما بُذل في سبيلها. لم يكن هذا الهجوم، وأمثلة أخرى غيره مثل هجمات باريس في يناير ٢٠١٥ أو المذبحة التي راح ضحيتها أكثر من ١٧٠٠ جندي شيعي بالعراق في يونية ٢٠١٤، مجرد تصرف أهوج من أحد المهووسين بالدماء منتهم إلى عقيدة تدعو للموت، بل نتيجة منطقية للاعتقاد في أيديولوجية يمكن اقتفاء أثرها في عدة حوادث؛ بدءًا من حادثة قاعدة فورت هود بتكساس، الولايات المتحدة الأمريكية، ومرورًا بأوروبا وإفريقيا والشرق الأوسط حتى بالي.

لقد أثمر العقدان الأخيران عن قدرٍ كبيرٍ من الأبحاث حول الدعاية الجهادية كجماعات مسئولة عن ممارسات العنف الوحشي باسم الإسلام، على الرغم من الفصل القاطع والواحي بينها وبين الممارسات الدينية السائدة في العديد من الدول. وبالرغم من وفرة المادة العلمية، فإن أغلبها ركز على «الماهية» و«الكيفية»، في حين حازت «السببية» على قدرٍ ضئيلٍ من الاهتمام. للدعاية الجهادية شقان: السردية والأيديولوجية. الأيديولوجية تشير إلى منظومة المعتقدات السياسية والدينية الأساسية التي يعتنقها أتباعها؛ أما السردية فتعني تطبيق هذه المعتقدات على الموقف الراهن وتناولها من وجهة نظر المظلوم. ويؤدي تحليل السرديات إلى الاقتراح السائد والقائل بأن «تنظيم داعش أكثر تطرفًا من القاعدة»؛ في حين يشير تحليل الأيديولوجية إلى أن إحدى الجماعتين لا تقل تطرفًا عن الأخرى، ولكنهما مختلفتان من الناحية التكتيكية.

تعد السرديات المضادة ومحاولات تناول التطرف بعيدًا عن الأيديولوجية محكومًا عليها بالفشل. فالسرديات يمكن ملاءمتها وتطويرها بشكل كبير للرد على السرديات المضادة بسلاسة. وعلى الرغم من أن الأيديولوجيات قد تعد أقل مرونة، فإنه لا يمكن تناولها سوى من خلال الإطار الذي تتلاءم فيه معًا، وسبل تطبيقها وإدراكها. ويهدف هذا البحث بشكل أساسي إلى توضيح ماهية هذا الإدراك.

وقد يَسَّر حجم الدعاية الصادرة باللغتين العربية والإنجليزية في السنوات الأخيرة، بالإضافة إلى سهولة نشرها على الإنترنت، من انتشار الأيديولوجيات المتطرفة وأصبحت أسهل من ذي قبل. ولكنها وفرت في الوقت ذاته كنزاً دفيناً من المعلومات للساعين إلى فهم هذه الأيديولوجيات وإدراكها وتحليلها والتقليل من شأنها. تناول هذا البحث مختارات من المادة الدعائية الصادرة من ثلاث جماعات، هي: الجناح السوري والعراقي لما يُعرف بتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، وجبهة النصرة (الحليف السوري لتنظيم القاعدة)، وتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية (وجناحها في اليمن).

اخترنا ١١٤ مصدرًا منذ إبريل ٢٠١٣ (دخول داعش إلى سوريا) إلى صيف ٢٠١٥، نعتقد أنهم يمثلون قطاعًا عرضيًا من الدعاية الصادرة عن الجماعات الثلاث. وقد تم تحليل هذه المادة الدعائية باستخدام برمجيات التحليل الكيفية للتوصل إلى الموضوعات والأفكار السائدة.

هناك بعض أوجه القصور في هذا البحث؛ فقد تناولنا ثلاث جماعات فقط ذوات تاريخ مشترك، وتناولنا مادة دعائية شملت عامين فقط، وكان من الواضح أن الأيديولوجية السائدة في الدعاية تستهدف جمهورًا خارجيًا، ولكن هذا لم ينف وجود أيديولوجية واضحة ومتسقة ومتراصة.

وُيُمثَّل التحليل الكمي لهذه الظاهرة الكيفية تحديًا منهجيًا كبيرًا. ومع ذلك فحاولنا وضع النتائج في سياقها من خلال دراسة الجوانب المباشرة والضمنية للأيديولوجية التي تم تناولها في البحث؛ وهو ما تطلب فهمًا لأسس العقيدة الإسلامية وكيفية ارتباط الفكر الجهادي بالتيار السائد للفكر الإسلامي وأوجه اختلافه الجذري معه.

لم وقع الاختيار على هذه الجماعات الثلاث؟

اخترنا هذه الجماعات الثلاث لأن جميعها ناطق بالعربية ولديها كم هائل من الدعاية الصادرة بالإنجليزية، كما أنها منبثقة عن الحركة السلفية الجهادية، ويوجد قدر كبير من التصريحات الساخنة المتداولة بينهم. حرصنا على أن يتم تناول تنظيمي القاعدة وداعش في هذه العينة بوضوح؛ حيث إن أوجه التطرف التي تمارسها الجماعتان دائمًا ما يقارن بعضها ببعض.

وقد تبدو أهداف الجماعات الثلاث مختلفة للوهلة الأولى؛ حيث إن داعش تدّعي تأسيس دولة الخلافة، وتسعى إلى توسعة نطاق سيطرتها لتشمل «العالم الإسلامي» بأكمله وأكثر؛ أما جبهة النصرة، التي كانت فيما سبق جناحًا لداعش، فلديها طموح محدود ولكن فوري بتأسيس دولة إسلامية في سوريا - على الرغم من رغبتها في تأسيس دولة خلافة أيضًا في نهاية المطاف - في حين أظهر تنظيم القاعدة اهتمامًا بالسيطرة على الأراضي على فترات متقطعة (في وقت كتابة هذا البحث، تخضع مدينة المكلا الساحلية باليمن لسيطرة القاعدة)، وبدا أنه يهتم أكثر باستهداف الغرب - الذي ظل معتقدًا أن تنظيم القاعدة هو أخطر الجماعات في العالم حتى ظهور داعش على الساحة - وتُعد الجماعات الثلاث نموذجًا «للجهادية العالمية» التي تختلف فكريًا بشكل واضح عن «النسخة القومية» للحركة والمثلة في جماعات مثل طالبان.

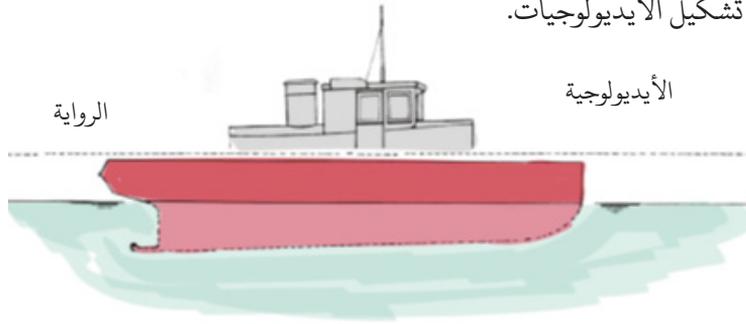
تُرَكِّز العديد من التحليلات الأخيرة للدعاية الجهادية حصرًا على داعش؛ نظرًا لوحشيتها الصادمة وظهورها الواسع في وسائل الإعلام العالمية. وعلى الرغم من أهمية هذه الجهود في دحض ما تمثله هذه الجماعة من خطر لقدرتها على الاستقطاب، فإن هذا التقرير يهدف إلى إيجاد إطار للجهادية يتسع بمكان لإيجاد معايير تفيده هذه الأيديولوجية وتتجاوز القوة الظاهرة للحركة مؤخرًا.

التمييز بين الأيديولوجية والسردية

من أهم التحديات التي نواجهها عند محاولة التوصل إلى الأيديولوجية من خلال سُبُل الدعاية المتاحة هو الطريقة التي تجتمع بها مع السردية لصنع كيان كامل ذي صلة بالجمهور المنشود في سياق الأحداث المحلية والعالمية. وبناءً عليه، يُمثّل إطار السردية بنية قوية للدعاية ذات أهمية قصوى للكيان بأكمله، ولكنها في الوقت ذاته دون جدوى إن لم تصاحبها أيديولوجية تُشكل أساسًا لها. ويُمثّل الاثنان معًا مجموعة متوازنة من المبادئ الأيديولوجية والسردية المصاحبة لها التي تحافظ بدورها على بقاء الأيديولوجية وترابطها.

ومن ثمّ، فإن مهاجمة عنصر السردية وحده، وإن لاقى نجاحًا، فلن يستطيع التقليل من شأن الحركة طويلًا. فلكي يحقق هذا الهجوم نجاحًا يجب أن يستهدف الأيديولوجية نفسها؛ فتقويض الأيديولوجية سيصعب من استعادة تلك الجماعات لتوازنها.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأيديولوجيات بحاجة إلى هوية راسخة كي تظل باقية تُعرف باسم «الهوية التأسيسية»؛ أي الهوية التي تستند في المقام الأول إلى الفرد قبل ربطها بالأيديولوجية. يُعد الإسلام الهوية التأسيسية للأيديولوجية السلفية الجهادية، وذلك على الرغم من أن تفسيره الحرفي بعيد تمامًا عن التيار الإسلامي السائد. وباعتباره هوية تأسيسية، يدعم الإسلام مجموعة متنوعة من الأيديولوجيات السلمية لا تحل محل العقيدة الإسلامية لدى هويات أتباعها، ولكنها تتحكم في آرائهم حول موضوعات بعينها وتنظمها لإنشاء منظومة من المعتقدات تساعد على تشكيل نظرتهم للعالم وتوجهها. ويعد هذا التمييز ضروريًا لضمان توجيه السرديات المضادة بشكل صحيح. إن هذه الأيديولوجيات هي ما يُشكّل تطبيق العقيدة الإسلامية ويوجهها؛ في حين لا يوجه الإسلام تشكيل الأيديولوجيات.



الهوية التأسيسية

شكل ١-١: سفينة الأيديولوجية في محيط الهوية.

بالنسبة إلى السلفية الجهادية، تُهيمن الأيديولوجية على العقيدة الإسلامية لأتباعها. وكما يتضح من خلال هذا البحث، يعد أحد أهم الجوانب المركزية لهذه الأيديولوجية محدوديتها في الاعتراف بأن من يعارضونها لا يزالون من أتباع الإسلام، وإعلانها في الوقت ذاته أن أغلبية المسلمين بالعالم يُعدون عُصاة.

ويُعد إدراك الفروق بين السردية والأيديولوجية والهوية التأسيسية أمرًا ذا أهمية قصوى لتحديد الجوانب المشتركة للجماعات المختلفة. وبين المجموعات الثلاث محل هذا البحث، تظهر المشاحنات والانتقادات المعتادة إلى أي مدى أصبحت الحركة السلفية الجهادية تنافسية وغير منتظمة. ولكن التركيز على هذا الجانب بشكل زائد على الحد يجعلنا نغفل استناد هذه الخلافات

إلى الخطاب السردى دون الأيديولوجى. فعلى سبيل المثال، تتفق جبهة النصرة مع تنظيم داعش حول الحاجة إلى الخلافة، ولكنها لا ترى أن ما أسسته داعش يعد خلافة شرعية.

يسعى هذا البحث إلى التوغل في الأيديولوجيات المشتركة بين ثلاث جماعات سلفية جهادية بارزة. لم نتخل عن العناصر السردية التي تتخلل الدعاية تمامًا، لكننا حاولنا إظهار كيف يتم تطبيقها على العناصر الأيديولوجية، وكيف يمكن للسرد أن يكون سببًا للنزاع بين هذه الجماعات وإن جمعت بينهم أيديولوجية مشتركة. وسوف تتغير السردية كلما تغير الموقف المحلى أو العالمى، في حين تتغير الأيديولوجية أيضًا بمرور الوقت إلا أن عملية تغييرها تتسم بالبطء. وسوف تظل جهود مكافحة الإرهاب عُرضة للفشل ما لم يتم تناول الأيديولوجية.

الإطار التحليلي

عادةً ما تكون الأيديولوجيات غير متجانسة. فبالرغم من أن أيديولوجية السلفية الجهادية تبدو مترابطة بشكل كبير، فإنه من المفيد أن يتم تناولها كنظام من المعتقدات تتناول المجالات التي يمكن تطبيق الأيديولوجية فيها، ومن ثم يتكون لدينا جوهر أيديولوجية السلفية الجهادية. يصنف هذا البحث العناصر الأيديولوجية إلى أربع فئات، ويرتب العناصر داخل كل فئة وفقًا لما تركز عليه؛ مما يعني أنه على سبيل المثال إن كانت الإشارات إلى نهاية العالم محدودة، فقد استطعنا تصنيف عدد من الإشارات التي تشير إلى الاعتقاد في نهاية الزمان بوجه عام.

القيم

تُشكّل القيم القاعدة الأخلاقية لكل جماعة؛ حيث تبرر السلوكيات والأهداف وتُملئها إلى حدّ ما، وتُوفّر بذلك الرابطة التي تتشكل حولها الهوية الجماعية.

القيم العقائدية: هي المبادئ الدينية المأخوذة مباشرةً من الهوية التأسيسية للإسلام، ويتم تطبيقها لصالح فكرة الجهاد.

الشرف والتضامن: هي الموضوعات المتعلقة بالدوافع المحركة للأفراد والجماعات.

نهاية الزمان: هي الموضوعات المتعلقة بالمعارك الوشيكة لنهاية العالم.

الأهداف

وتُشكل ما تسعى الجماعة إلى تحقيقه وتوليه الأولوية وفقاً للقيم الخاصة بها، وتكون هي المرجع لسلوكيات الجماعة.

الخلافة: وتشير هذه الفكرة إلى الموضوعات المتعلقة بالاعتقاد أو الرغبة في تأسيس دولة إسلامية عالمية.

العدو الأدنى/ الأقصى: وهي الموضوعات المتعلقة بأهداف الجهاد.

نهاية الإذلال: وهي الموضوعات المتعلقة بما ينظر إليه على أنه إذلال للمجتمع الإسلامي عالمياً بغرض القضاء عليه.

السلوك

يُملي ما توليه الجماعة أهمية في سلوكياتها، وما هو مسموح به أو ضروري لتحقيق أهداف.

الجهاد كفكرة نبيلة: بينما ترتبط الموضوعات كافة بفكرة الجهاد، ترتبط هذه الموضوعات بالسلوك الجهادي المناسب سواء بشكل جماعي أو فردي.

المنهج النبوي: ترتبط بإسناد سلوكيات الجماعة وأفرادها إلى التفسير الحرفي لتعاليم النبي والادعاء بكونهم خلفاءه.

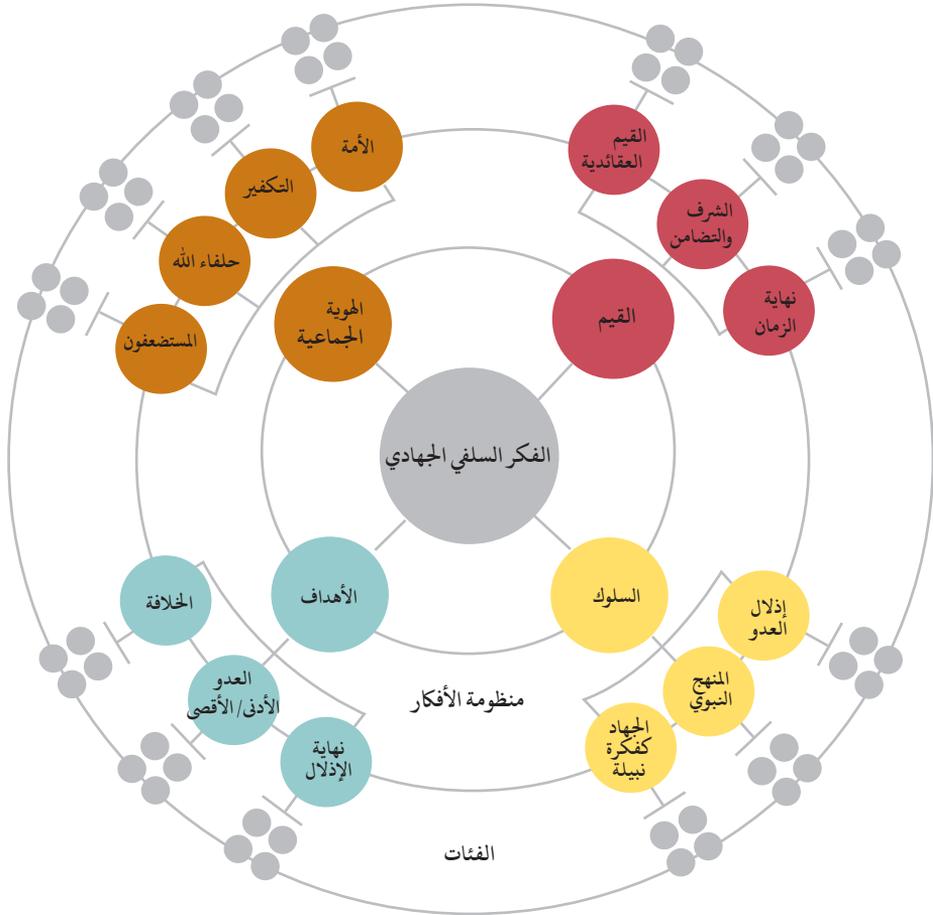
إذلال العدو: تتعلق هذه الموضوعات بالنتيجة المرجوة من الجهاد، وهي إذلال أعداء الجماعة الذين هم أعداء الدين.

الهوية الجماعية

تحدد نطاق الجماعة بمن في ذلك من ينضم إليها ومن يجب أن ينفصل عنها وفقاً للسمات التي تحدها القيم والسلوكيات التي تُفرّق أعضائها.

الأمة: ترتبط بأعضاء الجماعة ومناصرة المجتمع الإسلامي العالمي، وتحديد من هم أفراد هذا المجتمع.

التكفير/ الطائفية: وهي الموضوعات المتعلقة باتهام المسلمين الآخرين بالردة. حلفاء الله: تتعلق بفكرة أن من يجارون من أجل الله هم فقط من يمكنهم الفلاح؛ وذلك بفضل ما يمنحه لهم من مساعدة. المستضعفون: ترتبط بكيفية رؤية الجماعة لنفسها، ومن يجارون لصالح الأمة كقوة مظلومة أو مضطهدة.



شكل ١-٢: الإطار التحليلي.

منظومة الأفكار

يرسم هذا البحث صورة لمنظومة الأفكار التي تُشكّل أيديولوجية السلفية الجهادية بعيداً عن النطاق الأوسع للعقيدة الإسلامية. وتتداخل هذه المنظومة بشكل منطقي، وترتبط أجزاءها بعضها ببعض عن طريق اليقين بمصداقية القضية الجهادية، وكذلك الشعور الهوياتي القوي المنبثق من هذا الاعتقاد. ويستنبط هذا البحث أيضاً عدداً من التناقضات الأيديولوجية الواضحة التي تم التوصل إليها من خلال البحث الكيفي، وتشير إلى وجود فرص قوية لمكافحة الرسائل التي توجهها الجماعات الجهادية.

القيم

من بين جميع العناصر الأيديولوجية التي تم تحديدها في هذا البحث تبدو القيم هي الأوضح؛ وهذا يشير إلى الدور الأساسي الذي تؤديه كل من القيم والمبادئ في تشكيل الأيديولوجية الجهادية. تشكل هذه القاعدة الأخلاقية لكل جماعة؛ بحيث تبرر السلوكيات والأهداف وتُمليها إلى حد ما، وتُوفّر بذلك الرابطة التي تتشكل حولها الهوية الجماعية.

يشير الطابع التأسيسي إلى القيم الموجودة في الهياكل الخاصة بالجماعات الجهادية الثلاث إلى أن حركة السلفية الجهادية العالمية تستند إلى دوافع تتعلق بالأيديولوجية أكثر من العنف. وتتضح الطبيعة الشاملة لهذه الأيديولوجية بشكل أكبر من خلال تفاعل الموضوعات بعضها مع بعض، سواء كان بشكل فردي أو في الإطار الأوسع للتصنيفات. وبناءً عليه يمكن تقسيم هذه القيم إلى ثلاث فئات فرعية؛ وهي: القيم العقائدية، والشرف والتضامن، ونهاية الزمان.

القيم العقائدية

تُعد العقيدة بالنسبة إلى أي جماعة دينية المذهب الرئيسي الذي تستند إليه لتحديد مدة سطوة الدين عليها. وجماعات السلفية الجهادية ليست استثناءً؛ حيث إنها تبذل جهداً كبيراً في إرساء التزامها بالقيم العقائدية الإسلامية بما في ذلك الاعتقاد بوجود إله واحد (التوحيد)

والإيمان والأعمال الصالحة التي تنبع منه. وتختلف السلفية الجهادية عن أغلب المسلمين في تعريفها المحدود لهذه العناصر ورفضها لمن يختلفون معه.

لقد ساعد العنف الهمجي والأساليب المرتبطة بالحركة الجهادية العالمية على رفض الكثيرين للربط بينها وبين الإسلام، بل قال البعض إنها لا تمت له بأي صلة. وبالرغم من أن الحركة توسم بأنها طوائف الموت، الأمر الذي يعبر بدوره عن الحاجة إلى التفرقة بين الإسلام وهامشه المسيس، فإن الرفض التام للهوية الإسلامية (المتشددة) لهذه الجماعات لم يتم تناوله في نتائج هذا البحث.

تستند أيديولوجية الجماعات الثلاث إلى قراءة وفهم للدين الإسلامي. وهذا لا يعني أن الدين الإسلامي يدعو بطبيعته إلى العنف، ولكن ببساطة بدون أساس إسلامي سوف تنهار أيديولوجية السلفية الجهادية. ويوضح ذلك ضرورة أن ترتبط الأيديولوجية بمصطلحات دينية، تُفسّر المبادئ الأساسية للعقيدة الإسلامية مع التركيز على العنف بشكل يجذب أقلية فقط من المجتمعات الإسلامية حول العالم. وبوجه عام، تشير ٦٢٪ من الدعاية إلى الموضوعات التي تم تعريفها في هذا البحث بـ «القيم العقائدية».

تعريفات

الموضوعات الرمزية للقيم

القيم العقائدية

التوحيد: هو المبدأ الأساسي في العقيدة الإسلامية ويعني وحدة الإله، والنقيض لمفهوم الشرك. ويشير إلى الإيمان بالله واحد قادر لا شريك له. ويعد المفهوم الجهادي تفسيراً متطرفاً لهذا المعتقد الذي تؤمن به الديانات الإبراهيمية كافة.

الإيمان: الاعتقاد الواعي في الجوانب الميتافيزيقية للإسلام والمستندة إلى فهم صحيح وعقلاني للدين. ويعني بشكل أبسط الاعتقاد في أركان الإيمان الستة؛ وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

الإحسان: التطبيق المادي للإيمان عند المسلمين، ويشمل العبادة والأعمال الصالحة وتبني نوع من المسؤولية الاجتماعية. ويعد الإحسان أعلى درجات العبادة بعد الإسلام والإيمان، وهو فكرة أساسية عند الصوفية.

إسناد النصر إلى الله: هو إحدى النتائج المترتبة على التأكيد على التوحيد وسيطرة الله على التاريخ. ويتضح من الطريقة التي يستجيب بها الجهاديون لانتصاراتهم من خلال صيحاتهم «الله أكبر» داخل أرض المعركة.

الشرف والتضامن

الشرف: ويعني شرف كل من الأفراد والشرف الجمعي للأمة. ويرتبط بشكل كبير بالطريقة التي يجب أن ينتهجها أفراد الجماعة في سلوكياتهم. ويرى أتباع السلفية الجهادية أن الشرف هو مكافأة الله لهم مقابل الجهاد.

نصرة المظلومين: ويناشد هذا المفهوم المثل الخاصة بالشهامة، ولكنه يضيف على الدعاية التي تقوم بها الجماعات قوة عن طريق ربط المعارك المحلية بالموقف العالمي؛ بحيث يتم استخدام لفظ «المظلومين» للإشارة إلى المسلمين أجمعين.

الشهادة: وتعني التضحية بالنفس طواعية لأجل قضية ما. وفي أدبيات الجهاديين يستخدم لفظ «شهيد» أو جمعه «شهداء» كما هو باللغة العربية دون ترجمته إلى الإنجليزية.

نهاية الزمان

نهاية العالم: الإيمان بنهاية العالم ويوم القيامة؛ حيث يحاسب كل إنسان عما قدمه في حياته وتحديد ما إذا كان سيدخل الجنة أو النار، وهو أحد الأركان الستة للإيمان. وتعتمد الأيديولوجية الجهادية، التي تضع جميع معاركها في سياق معارك نهاية الزمان، على كون نهاية الزمان وشيكة للحفاظ على اتساقها.

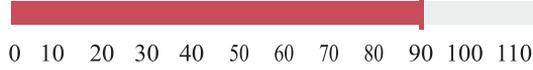
الصبر: تنتشر في الدعاية الجهادية الإشارات إلى المعاناة والمصاعب، ومع وجود فكرة أن كل شيء بيد الله، فيجب احتمال هذه المصاعب والصبر عليها.

القضاء والقدر: الاعتراف بسيطرة الله على مسار التاريخ وأن الإيمان بأن جميع ما يحدث من حولنا هو قدر شرط أساسي للإيمان بالنبوءات المذكورة في القرآن والسنة.

الحق فوق الباطل/ الخير فوق الشر: مع تعزيز العناصر الثنائية المتعددة الموجودة في الدعاية، يأتي الانتصار الحتمي للخير كتأكيد على يقين الأيديولوجية بشكل لا يسمح بوجود منطقة وسط؛ حيث يحتتم هذا الطابع الثنائي أن يكون من يخالفهم من أتباع الشر.

الصورة الشاملة

القيم ١١٤/٩١



فئات القيم

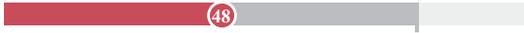
القيم العقائدية



الشرف والتضامن



نهاية الزمان



الموضوعات المتعلقة بالقيم العقائدية

التوحيد



إسناد النصر إلى الله



الإيمان



الإحسان



الموضوعات المتعلقة بالشرف والتضامن

الشرف



نصرة المظلومين



الشهادة في سبيل الله

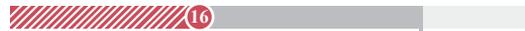


الموضوعات المتعلقة بنهاية الزمان

نهاية العالم



الصبر



القضاء والقدر



الحق والباطل / الخير والشر



شكل ٢-١: تفصيل الموضوعات المتعلقة بالقيم، من خلال عدد المصادر التي تظهر فيها بشكل مباشر.

من أهم المبادئ الدينية لهذه الجماعات هو التناقض التام بين التوحيد والشرك (تعدد الآلهة). تعدّ الوحدانية فكرة أساسية في كل من اليهودية والمسيحية وكذلك الإسلام السائد بين المسلمين، ولكن يتم تناوله في سياق السلفية الجهادية بشكل متطرف. وهذا يعني أنه كلما وجدت في الدعاية إشارة إلى الشرك حملت أيضًا تركيزًا على فكرة التوحيد. فأينما أُعلن التوحيد، كان الشرك غائبًا؛ وأينما كان الشرك موجودًا كان من الواجب تطبيق التوحيد.

ويخدم التوحيد أيضًا غرض السرد؛ حيث يتحدد العدو عن طريق مقارنة الإسلام بالجاهلية. وتأتي أغلب الإشارات للتوحيد في سياق التشجيع على الجهاد، وهو نمط متكرر في الأيديولوجية. وبينما تُركز الأيديولوجية بشكل واضح على فكرة الجهاد - وهو ليس بالشيء المفاجئ - يتضح أن هذا الاهتمام بعيد عن التقوى أو الروح الحقيقية للإسلام؛ حيث يخدم الأهداف الأبعد للحركة.

تُعدّ فكرة التوحيد فكرة مركزية؛ حيث تمت الإشارة إليها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر في ٧٤٪ من الدعاية. وتظهر الإشارات الصريحة في ٢٦٪ من المصادر المكتوبة. ولكونه قيمة عقائدية، يعدّ التوحيد مطلبًا أساسيًا لازمًا للموضوعات الأخرى الموجودة في الدعاية، بما في ذلك سلطة الله وتحكمه في الأحداث من حولنا.

أما الإشارات الضمنية فتشمل انتشار صور المجاهدين وهم يشيرون بإصبع السبابة إلى أعلى؛ رمزًا للتوحيد. وكنوع من الاتساق فإن هذا الموضوع موجود داخل جميع التصنيفات الأيديولوجية الأخرى. وتُمثّل فكرة الخلافة توحيد الحاكمية لله، كما تُؤكّد محاكاة ممارسات النبي على فكرة التوحيد، كما أن تعريف الجماعة بالأمة يضع كل هذه العناصر في كيان واحد: إله واحد وحكومة إسلامية واحدة وأمة إسلامية واحدة.

يعدّ إسناد النصر إلى الله أوضح القيم وأكثرها انتشارًا؛ حيث تهتم بفكرة الجهاد أكثر من فكرة التوحيد. وتظهر فكرة إسناد النصر إلى الله في ٤٣٪ من المصادر في العينة الموزعة بشكل متكافئ في الدعاية الخاصة بداعش وتنظيم القاعدة وجبهة النصرة.

ويرتبط ذلك بشكل وثيق مع «عامل الجذب» في السردية والقائل بحتمية النصر (على أساس أنه لا أحد يرغب في أن ينضم إلى الفريق الخاسر). إلا أن هذه الفكرة تنتمي بدورها إلى القيم العقائدية الأخرى؛ حيث إنها النتيجة المترتبة على التأكيد على فكرة التوحيد (التي لا تشير إلى

وحدة الله فحسب، وإنما معرفته المطلقة أيضًا) وكذلك سيطرة الله وتحكمه في مسار التاريخ (القضاء والقدر). وتتضح هذه الرابطة من خلال ردود أفعال الجهاديين حول انتصاراتهم في المعارك في دعايتهم المرئية؛ من خلال صيحات «الله أكبر» وصور الجهاديين وهم يرفعون إصبع السبابة في الهواء.

وتتضح هاتان الرابطتان من خلال مقال منشور بالعدد التاسع من النسخة الإنجليزية من مجلة «دابق»؛ المجلة الدعائية لداعش، بعنوان «والله خير الماكين». ويخالف المقال الاعتقاد السائد لدى أصحاب نظرية المؤامرة بين ممن يدعمون الجهاديين والقائل بأن هجمات 9/11 قام بها الغرب لتبرير هجماته على «العالم الإسلامي». يعارض المقال هذا الاعتقاد، ويعد الإيمان بنظرية المؤامرة هذه بمثابة الشرك؛ لأن هذه الهجمات ما كانت لتتم دون عون من الله.

ومن أكثر العناصر التي تسهم في فكرة إسناد النصر إلى الله هي الأناشيد التي يستخدمها الجهاديون كأغانٍ تحفيزية؛ حيث إن 67٪ من الأناشيد التي درسناها جاءت في هذا النطاق. ويعكس ذلك الهدف من الأناشيد واستخدامها في الدعاية؛ فهي مُصممة لتشجيع وتحفيز الأتباع والداعمين، وليس بالضرورة جذب أشخاص جُدد لتجنيدهم للقضية. ولأنها مكتوبة في صورة شعر، فهي تخاطب القلب أكثر من العقل، وتعطي إحساسًا بالمشاركة في عمل عظيم:

حياةُ الدُّلِّ لا لا أرْتضيها	وحبُّ الموتِ بالعرِّ مُرامٌ
فلا واللهِ لا أخشى المنايا	فما للعبدِ في الدنيا مُقامٌ
وإنَّ الموتَ في دربِ الجهادِ	لَفَضْلُ اللهِ يُوْتِي من يشاءُ
فيا دربَ الجهادِ هَلَمَّ إنِّي	لحبِّكَ لا أَكُلُّ ولا أنامُ
سأبقى وافيًا بالعهدِ مهما	خُذِلْتُ من البريةِ أو أُلأمُ
ومهما سامني الأعداءُ قهراً	سأبقى ثابتًا مهما أساموا
فلا واللهِ ما في العيشِ خيرٌ	وفي الأسوارِ أحرارٌ تُضامُ
فصبرًا يا عبادَ الله صبرًا	فدعواتُ الليالي لكم سِهَامُ
لكم بالشامِ جيشٌ كالأسودِ	وجيشٌ في العراقِ له احتدامُ
فنصرُ اللهِ آتٍ لا محالاً	وجندُ اللهِ للدينِ أقاموا (داعش) ^(١)

(١) «حياةُ الدُّلِّ لا أرْتضيها»، موقع عبد موني، <http://abdmobi.com/music/view/23372266>.

وتعد فكرة إسناد النصر إلى الله أيضاً ذات أهمية قصوى لتأسيس الهوية الجماعية؛ حيث يمكن أن تظهر الرحمة الإلهية لأنشطة الجماعة من خلال انتصاراتها، الأمر الذي يساعد على تمييز الجماعة عن غيرها. وبالرغم من أن جماعات داعش وتنظيم القاعدة وجبهة النصرة تشترك في هذا المبدأ الفكري، فإن كلاً منها قادرة على استخدامه ضد الأخرى: بمعنى أنه إن استطاعت إحداهن هزيمة الأخرى، يسند المنتصر نصره هذا إلى الله كدليل على أن الجماعة المعادية لا تحظى بهذا الدعم الإلهي. «بعد مرور أيام على نجاح عمليتي أريحا وحنبل بريف إدلب، هاجم تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) المجاهدين ومواقع الشوار بريف حلب [...] حسبنا الله هو حامينا مما يدبرون» (جبهة النصرة)^(١).

ويتطلب اكتساب هذا الدعم الإلهي أمرين ضروريين هما الإيمان والإحسان. ومثل التوحيد، فإن كلاً من الإيمان والإحسان يُعد من المفاهيم السائدة والأساسية في القيم الإسلامية. ويمثلان معاً ثلاثة معايير أساسية لكل مسلم؛ هي: الخضوع لإرادة الله، والإيمان بالأركان الأساسية للعقيدة، وأداء الأعمال الصالحة أو الأفعال التي تُظهر التزام المرء بالدين. ويعد وجود هذه العناصر دليلاً مقنعاً على أن أيديولوجيات هذه الجماعات تستند إلى الدين. وتظهر الإشارات إلى كل من الإيمان والإحسان معاً في ٢١٪ من الدعاية الخاصة بالجماعات الثلاث.

تظهر الإشارات إلى الإيمان في ١٥٪ من الدعاية التي قمنا بدراستها، جاء ٥٩٪ منها في دعاية داعش، و ٢٩٪ في المادة الدعائية الخاصة بتنظيم القاعدة، و ١٢٪ بمصادر جبهة النصرة. ويتحالف تشكيل فكرة الإيمان مع التأكيد الإسلامي على فكرة اليقين، أي التأكد من مسار حياة المرء. ويرتكز تطبيق الجماعة لمفهوم الإيمان على الجهاد، بما يعني أن أولئك الذين على استعداد للانضمام إلى القضية يجب أن يشعروا في داخلهم بالإيمان الحقيقي. وعلى الرغم من هذا الاهتمام المشترك، فإنه لم تقدم أي من الجماعات الثلاث تعريفاً محدداً لهذا المفهوم. ويظهر الاهتمام المشترك بالجهاد جنباً إلى جنب مع التعريف الفضفاض من خلال أقوال الجماعات الثلاث:

(١) "Halab under Fire", *Al-Risalah*, no. 1 (July 2015): 31-32, online e-article, <https://archive.org/details/AlRisalahIssue1Desktop>

«كان ملتزمًا بإيمانه وما يمليه عليه من محاربة الشرور في العالم» (تنظيم القاعدة)^(١).
«وإن ضعف إيمانك [...] وعزفت عن الجهاد» (داعش)^(٢).

ويظهر الإيمان جنبًا إلى جنب مع الإحسان من خلال الدعاية، وغالبًا ما يكون في سياق ترجمة الإيمان إلى أفعال، الأمر الذي يعني بدوره ارتباطه الوثيق بفكرة الجهاد لدى الجماعات الثلاث. أما الإحسان فيظهر في ١١٪ من العينة؛ حيث تربعت داعش على القمة بنسبة ٥٤٪ من الإشارات، ويليهما جبهة النصرة ٣١٪، ثم تنظيم القاعدة ١٥٪؛ أما الإيمان فلا يتم استخدامه بشكل منتظم من قبل أي من الجماعات الثلاث. ومثال على ذلك ما ذُكر في أحد المقالات التي تم نشرها في العدد العاشر من «دابق» وتناول واجبات الأبناء والتزاماتهم تجاه الوالدين في الإسلام. فطاعة الوالدين تُعد أحد أهم أوجه الإحسان في الإسلام، ولكنها وحدها لا تكفي لمنع المرء من الانضمام إلى الجهاد^(٣).

وتعد جميع هذه القيم العقائدية ذات أهمية قصوى لأجل بقاء الأيديولوجية بأكملها، فإن لم تقم هذه الجماعات بادعاء أنها تمثل العقيدة الإسلامية، فلن تستطيع جذب أي عدد من المحتمل تجنيدهم. يعني هذا أن تفسير هذه الجماعات للقيم العقائدية قد يكون هشًا؛ أي إن أساليب فهم هذه القيم وتطبيقها قد تبدو غير منتظمة وبها ثغرات وتُركز بشكل دائم على الجهاد. لذا يجب على السرديات المضادة أن تركز على التطبيق في نطاق واسع ونشر فهم دقيق لها يمكن استيعابه بنجاح.

الشرف والتضامن

يأتي الاهتمام بالجهاد ضمن المبادئ الدينية لكونه أحد أعظم الأفعال التي يمكن للمسلم أن يقوم بها كدليل على صدق إيمانه. ولكن يرتبط هذا بدوره بمبادئ الشهامة، التي يأتي على رأسها الشرف والدفاع عن المهجرين أو الموت في سبيل قضية ما. وعلى الرغم من أن هذه الدوافع وما

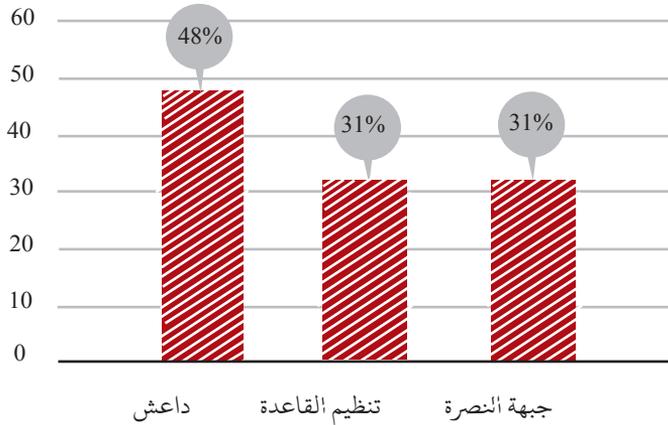
(١) "Tawhid and Our Duty to Our Parents", *Dabiq*, no. 10, *The Law of Allah or the Laws of Men* (Ramadan 1436 H.): 14-17, online e-article, <https://archive.org/details/DabiqIssue10>

(٢) Abdulilah Shaye, "City Wolves", *Inspire*, no. 12, *Shattered: A Story about Change* (2014): 30-31. (٤)

(٣) «كلمة صوتية للشيخ أبي محمد العدناني - حفظه الله - (يا قومنا أجيئوا داعي الله)»
SoundCloud, <https://soundcloud.com/deen-khan-4/glyfyka234jm>

يشابهها قد وُجد في الأيديولوجيات الخاصة بحركات عدة، فإن وجودها في الأيديولوجية الجهادية مشتق من القيم العقائدية. وتظهر الأفكار المرتبطة بالشرف والتضامن معاً في ٦٨٪ من الدعاية.

يرتبط الموضوع الهام للشرف في الدعاية الجهادية - سواءً كان شرف الفرد أو شرف الأمة بأكملها - ارتباطاً وثيقاً بالسلوك الذي يجب أن ينتهجه أفراد الجماعة. ومن ثمّ يمكن ترجمة القيم الخاصة بالشهامة (مثل الشرف وخدمة القضية والترحيب بالموت) إلى سلوكٍ شهيم. وفي هذا السياق أيضاً، يُظهر تأكيداً على محاكاة أساليب النبي كما تفهمها الجماعات (سيتم شرح هذا لاحقاً بالتفصيل). وتوضح أهمية هذه الفكرة من انتشارها في الدعاية؛ حيث إنها تظهر في ٣٧٪ من المصادر التي تمت دراستها: «لقد عرفت الأمة الإسلامية مسار الشرف، وهو مسار النبي ﷺ» (داعش)^(١).



شكل ٢-٢: وجود فكرة الشرف في الدعاية

ونسبة المصادر الخاصة بكل جماعة، التي تشير إلى هذا الموضوع.

تهتم داعش اهتماماً كبيراً بمفهوم الشرف، ويظهر ذلك في ٤٨٪ من المصادر، ويليهما تنظيم القاعدة وجبهة النصرة بنسبة ٣١٪ لكل منهما؛ وقد يرجع هذا لاهتمام داعش بضمان مفهوم الشرف لمن يهاجرون إلى دولة خلافتها والعار الذي قد يؤدي إليه العكس. ومع ذلك، فالدعاية الخاصة بالجماعات الثلاث توضح أن الشرف هو المكافأة التي يمنحها الله مقابل الجهاد:

(١) «كلمة صوتية للشيخ أبي محمد العدناني - حفظه الله - (يا قومنا أجيئوا داعي الله)».

«عندما يعود المسلمون إلى دينهم، سيحيون في سلام وأمان وشرف ومجد، ولن يحدث ذلك إلا من خلال هذه الصواريخ: الفداء والتضحية والعطاء والسعي والجهاد» (جبهة النصرة)^(١).

«ادعموا أهل الشام (سوريا الكبرى) ضد الهجمات الصليبية الجديدة، ودافعوا عن شرف أبنائنا المجاهدين» (جبهة النصرة)^(٢).

ارتبط نيل الشرف كسبب للجهاد ارتباطًا وثيقًا بنصرة المظلومين، ويظهر ذلك في ٢٧٪ من المادة التي تمت دراستها. فكما هو الحال مع الشرف، فإن الفكرة تناشد مبادئ الشهامة؛ كما أنها تضيف نوعًا من القوة على أساليب الدعاية التي تنتهجها الجماعات عن طريق الربط بين الصراعات المحلية والوضع العالمي.

ويشير لفظ «مظلومين» بوجه عام إلى المسلمين جميعًا، ومن ثم فإن هذا المبدأ الأيديولوجي يرتبط بتأسيس الهوية الجماعية كجزء من الأمة، ويعد ذلك عامل جذب أساسيًا للدعم والاتباع من الخارج^(٣).

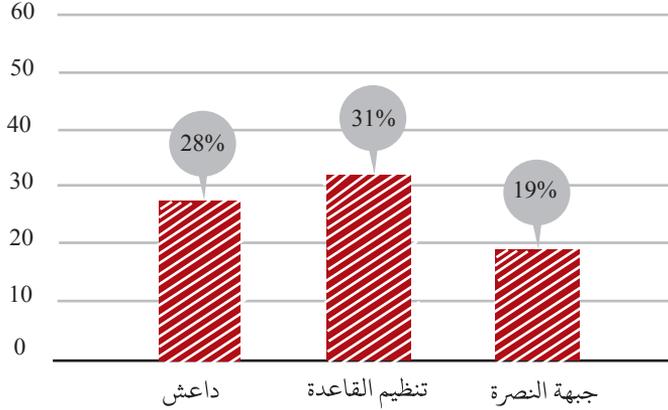
وعلى الرغم من الارتباط الوثيق بين هذه الفكرة وفكرة الجهاد الدفاعي، فإن الغرض الأيديولوجي لها كقيمة يكمن في أن الدعاية تُقدّم الجماعات الجديرة بالاحترام على أنها من سيقوم بالقضاء على الظلم. ومن ثمّ، فإنها تعد محورًا رئيسيًا يبرر تصرفات الجماعة، ويحدد سلوكها، ويضفي أيضًا الشرعية على وجودها.

تُعد فكرة الشهادة القيمة الرئيسية المرتبطة بالجهاد كحرب فعلية. وينتشر هذا الموضوع بشكل كبير في الدعاية الرسمية أو غير الرسمية للجماعات الجهادية الثلاث. وهي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بفكرة الشرف؛ فأن يكون المرء شهيدًا في سبيل الله، يعد التحقيق الأمثل لفكرة الشرف. فالعديد من المقاتلين الغربيين الذين يرتحلون للحاق بالجماعات الجهادية يتحدثون عن رغبتهم في الاستشهاد.

(١) Abuo 'Ubeidah Al-Hadhrami, "I Am Confused", *Inspire*, no. 13, *Neurotmesis: Cutting the Nerves and Isolating the Head* (2014): 37, online e-article, <https://azelin.files.wordpress.com/2015/09/inspire-magazine-issue-13.pdf>

(٢) «النص الكامل لكلمة الجولاني قائد جبهة النصرة بعنوان (لأهل الوفاء يهون العطاء)»، إذاعة وطن، <http://watan.fm/politic-news/1976-2014-09-28-18-13-57>

(٣) دائمًا ما يتناول الجهاديون الغربيون فكرة مهاجمة الغرب للأراضي الإسلامية كسبب للانضمام إلى الجماعات الإسلامية ومهاجمة بلدانهم الأصلية.



شكل ٣-٢: وجود فكرة نصرة المظلومين في الدعاية ونسبة المصادر الخاصة بكل جماعة، التي تشير إلى هذا الموضوع.

وجاء في المصادر التي خضعت للدراسة إشارات للشهادة بلغت نسبتها ٣٢٪ بالنسبة إلى الجماعات الثلاث كلها تقريباً. وأشارت ٦٪ من المصادر إلى الحياة بعد الموت تحديداً؛ حيث ترتبط حصرياً بفكرة الشهادة في الدعاية. فإنه عند أخذ موضوعات أخرى تشمل تلك التي تتعلق بقيم مثل التضحية بالنفس ونيل الشرف من قبل أولئك الذين يُقتلون في المعركة في الاعتبار، بلغت الإشارات ٦٨٪ من الدعاية.

تُجسّد العديد من المراثيات المستخدمة في الدعاية النزعة الرومانسية التي تنطوي عليها فكرة الشهادة دون ذكر مباشر لها، ولكن مع تسليط الضوء بشكل أوضح على نُبل فكرة التضحية بالنفس عند الحديث عن لقوا مصرعهم في هذا السياق. ففي إحدى المراثيات الخاصة بداعش لم يتم ذكر «الشهادة» بشكل مباشر على الإطلاق، في حين وُصِف الجهادي نفسه بـ«القائد المقدم» و«المحارب» و«الأخ»^(١). فعلى ما يبدو أن دور المحارب كشهيد يعد أمراً بديهياً.

(١) “Among the Believers Are Men: Abu Umar at-Tunisi”, *Dabiq*, no. 10, *The Law of Allah or the Laws of Men* (Ramadan 1436 AH): 41, online e-article, <https://azelin.files.wordpress.com/2015/07/the-islamic-state-e2809cdc481biq-magazine-1022.pdf>

وتعد المكانة العالية التي تحتلها الشهادة في الإسلام أمرًا معتادًا وشائعًا في الأديان كافة، ففي الإسلام يعود أصلها إلى بداية ظهوره^(١)، ولكنها أصبحت مرتبطة مؤخرًا بالحركات الجهادية. ومن الجدير بالذكر أيضًا أن صيغًا متنوعة من عبارة «قومٌ يحبون الموت كما تحبون الحياة» قد ارتبطت بعدد من الشخصيات والجماعات الجهادية بما في ذلك أسامة بن لادن^(٢). وبالرغم من أن وجود الشهادة يُعبّر كقيمة عن هذه النزعة الرومانسية الموجودة في الأيديولوجيات كافة، سواء كانت دينية أم لا، حول الرغبة في الموت في سبيل قضية ما، فإنها تكتسب زخمًا أكبر في السياق الديني مع وجود فكرة الحياة الآخرة. ومن الأساليب الشائعة على حسابات التواصل الاجتماعي لأنصار الجماعات الجهادية نشر صور للمقاتلين الجهاديين بعد أن لقوا مصرعهم والابتسامة (والتي قد تبدو تكشيرة أكثر منها ابتسامة) تعلق وجوههم، وهي التي من المفترض أنها تمثل فرحة «الشهيد» بدخول الجنة. وتتأكد الثقة في كون المقاتل شهيدًا من مبدأ إسناد النصر إلى الله والإيمان بتحكم الله في مسار التاريخ.

نهاية الزمان

ترتبط الرغبة في الشهادة بكون هذه الجماعات تحظى بمكانة خاصة فيما يخص مسار التاريخ. وتعد هذه فكرة ذات أهمية كبيرة بالنسبة لثالث أهم الموضوعات التي تسود القيم الجماعات الثلاث محل الدراسة، وهي نهاية الزمان الوشيكة. وكما هو الحال مع القيم العقائدية وقيم الشرف والتضامن، توجد فكرة نهاية العالم في جزء كبير من الدعاية؛ بحيث تستند إلى الموضوعات الأيديولوجية الهامة الأخرى وترتبط بها بشكل كبير.

(١) وفقًا لمحمد بن جرير الطبري؛ المؤرخ الفارسي في القرن التاسع، فعند وجود جيوش أبي بكر؛ أول خلفاء المسلمين، في بلاد فارس بعث قائدها برسالة إلى نظيره قال فيها «والآن فلتعتنق الإسلام حتى تأمن [...] وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فإني قد أحضرت معي أناسًا يهونون الموت كما تهوى أنت الحياة».

(٢) Richard Stengel, "Osama bin Laden and the Idea of Progress", *Time*, <http://content.time.com/time/nation/article/0,8599,189648,00.html>

دراسة حالة الشهادة والانتحار

تعد التفجيرات الانتحارية من الأساليب المثيرة للجدل، التي تتبعها الجماعات الجهادية، وتتطلب تبريراً دقيقاً في الدعاية. ومن ثم فإن لفظ «انتحار» لا يُستخدم أبداً، ولكن عادةً ما يستبدل به لفظ أنبل وهو «الباحث عن الشهادة». إلا أنه مؤخراً تم إضافة فارق لتمييز بين الفعل الانتحاري والفعل المتعلق بالشجاعة والشرف، وهو لفظ «انغماسي» واستخدم في المواد الخاصة بداعش وجبهة النصرة وتنظيم القاعدة بشبه الجزيرة العربية. يعد هذا الاستخدام تطبيقاً جديداً في الدعاية الجهادية، ويبدو أنه ظهر داخل الساحة السورية وانتشر منها إلى اليمن. ولا يوجد له ترجمة مباشرة باللغة الإنجليزية في هذا السياق، ولكنه يُستخدم بقوة في سياق الشهادة. لقد بدأت جبهة النصرة في الإشارة إلى شهدائها في مواقع التواصل الاجتماعي بـ«الانغماسيون الساعون وراء الشهادة»؛ إلا أن هذا اللفظ دائماً ما يتم استخدامه كمضاد للفظ «انتحاري».

وفي ظل الجهود المبذولة لاستنكار الانتقادات الموجهة للمهام الانتحارية التي تقول بأنها لا تُمثل الشهادة الحقة، أصدر تنظيم القاعدة بشبه الجزيرة العربية مقالاً بعنوان «فضائل الانغماسي» في العدد الثالث عشر من مجلة «إنسباير»، يتناول السلوك العسكري للنبي محمد وصحابته من خلال الروايات المذكورة في الأحاديث النبوية والإشارات القرآنية. وتوصل في النهاية إلى أن المسلم ليس فقط يجوز له أن «يلقي بنفسه بين براثن العدو [...] وإن كان على يقين أن هذا سيؤدي إلى قتله» فحسب، بل إن الله يكافئه على ذلك. ويعد استخدام لفظ «انغماسي» نوعاً من الجهود المبذولة للتخلص من الدلالات السلبية المتعلقة بالانتحار في هذا السياق؛ حيث يستبدل بها صفات عن الشرف والشجاعة، تعد من الجوانب الخاصة بنكران الذات، ومن ثم فهي جائزة مشرفة.

وقال الإمام أبو حامد الغزالي - رحمه الله - في «الإحياء»، في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل، وإن

علم أنه يقتل، وكما أنه يجوز أن يقاتل الكفار حتى يقتل، جاز أيضًا ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار، كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز، فذلك حرام، وداخل تحت عموم آية التهلكة؛ وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه لا يقتل حتى يقتل، أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جرأتهم، واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة، وحبهم للشهادة في سبيل الله، فتكسر بذلك شوكتهم^(١).

ويعتمد الفكر الجهادي بالكامل في تماسكه على قرب نهاية الزمان. فنجد أن التقسيمات الثنائية بين الخير والشر وحتمية النصر والحاجة الملحة إلى الخلافة تتشعب جميعها بخطاب «نهاية الزمان». ومع أخذ هذه العوامل في الاعتبار، نجد أن الإشارات إلى نهاية الزمان بلغت ٤٨٪ من الدعاية.

ويشير التحليل الذي قدمناه هنا إلى الأهمية المركزية للإيمان بنهاية الزمان؛ فهو الوسيط الذي يتم من خلاله أغلب الأنشطة الأخرى للجماعات. ومثال على ذلك لفظ «دابق» الذي أطلقته داعش على اسم المجلة التي تصدرها، وهو يشير إلى مدينة سورية شمال حلب. فوفقًا للأحاديث النبوية، «دابق» هي الموقعة التي ستنشب فيها معارك نهاية الزمان؛ حيث ستهزم الجيوش الإسلامية جيوش الروم التي يرى العديد من الجهاديين أنها تمثل الغرب حاليًا^(٢). ويؤكد هذا تصريح أبي مصعب الزرقاوي؛ مؤسس إحدى الجماعات السابقة لداعش، الموجود على الغلاف الأممي لكل أعداد المجلة: «لقد اشتعلت الشرارة هنا في العراق، وسوف تستمر النيران في التأجج - بإذن الله - إلى أن تحرق جيوش الصليبيين في دابق».

وتجعل هذه العوامل الانطباع الذي يتركه العدد المحدود للإشارات الصريحة لنهاية الزمان، التي تمثل ٥٪ فقط من عينة الدراسة، انطباعًا خادعًا. وسواءً كانت هذه الإشارات صريحة أم ضمنية، فهي تُعبّر عن اثنين من المعتقدات الأساسية حول فكرة نهاية الزمان: أولهما أنه على

(١) "The Virtues of Inghamaasi", *Inspire*, no. 13, *Neurotmesis: Cutting the Nerves and Isolating the Head* (١) (2014): 42-45.

(٢) "Dabiq: Why Is Syrian Town So Important for IS?" *BBC News*, (٢) <http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-30083303>

الرغم من حتمية الحدث، فإن موعده لا يزال غير معلوم، وثانيهما أن المعارك التي تعد بمثابة مقدمات لنهاية الزمان تقع الآن بالفعل. لا يتعارض المعتقدان، وتؤمن بهما الجماعات الثلاث. ولا تعد هذه الافتراضات المبنية على معتقدات واسعة الانتشار متطرفة في حد ذاتها؛ ففي أحد الاستبيانات التي أُجريت عام ٢٠١٢، ذكر أكثر من نصف المسلمين الموجودين في تسع دول بجنوب شرق آسيا وجنوب آسيا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا أنهم يؤمنون بأن وقائع نهاية الزمان ستحدث أثناء حياتهم^(١).

يرتبط الاعتقاد بأن نهاية الزمان وشيكة بقيم الصبر والقضاء والقدر. يعني القضاء والقدر سيطرة الله على مسار التاريخ (وهو أحد الجوانب الأساسية للتوحيد وإسناد النصر إلى الله والإيمان كما أشرنا فيما سبق) فيما يتضمن أيضًا نهاية التاريخ. ويعد ذلك مبدأ إسلاميًا أساسيًا وجزءًا رئيسيًا من الإيمان وأحد المتطلبات الأساسية اللازمة للإيمان بأي تنبؤات موجودة بالقرآن أو الأحاديث النبوية. وهي تعد ذات أهمية كبرى بالنسبة إلى الفكر الجهادي؛ حيث إنها تعد شرطًا أساسيًا للإيمان بالمعارك التي يخوضونها، والتي يرونها في سياق كوني أكبر لانتصار الخير على الشر وانتصارهم الحتمي لاحقًا.

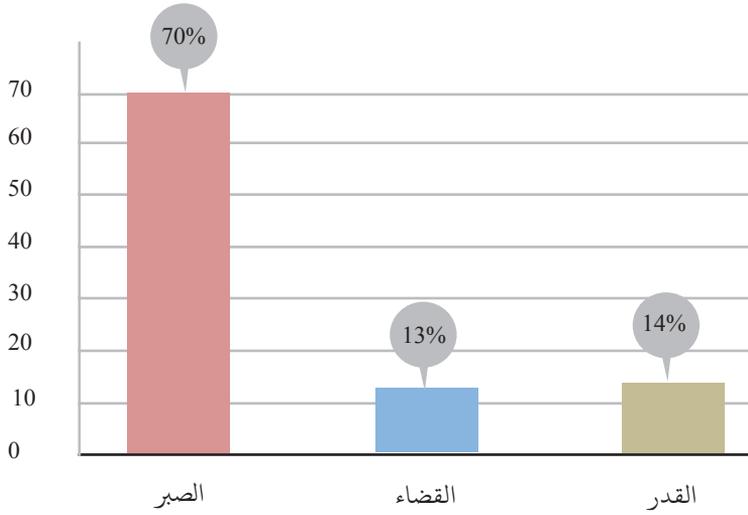
لكن الإيمان بالقضاء والقدر يتماشى جنبًا إلى جنب مع قيمة الصبر. تعد الإشارة إلى المعاناة والإخفاقات من الأمور السائدة في الدعاية الجهادية، وكذلك القول بأن كل شيء في يدي الله، ومن ثمَّ يجب تحمل هذه الإخفاقات بشيء من الصبر. ويرتبط هذا بشكل وثيق بمحاكاة تصرفات النبي محمد ﷺ؛ فصفات الصبر في وجه المعاناة، والمعاناة نفسها كنتيجة مترتبة على الجهاد يعدان من تعاليم النبي ﷺ.

«لقد عانى أهل الإسلام من مرارة معركتهم مع الكفار من أهل قريش إبان عهد النبي ﷺ، ولكن الإسلام انتشر في شتى بقاع الأرض [...] ومن ثمَّ، فإنَّ تحلُّيت بالصبر في هذه الحرب [...] فسيضمن الله لك النصر، وستستعيد مجد وشرف الإسلام» (جهة النصرة)^(٢).

(١) James Bell et al., *The World's Muslims: Unity and Diversity* (Washington, DC: Pew Research Center's (١) Forum on Religion and Public Life, 2012): 65, online e-book, <http://www.pewforum.org/files/2012/08/the-worlds-muslims-full-report.pdf>

(٢) «كلمة صوتية للشيخ الفاتح أبي محمد الجولاني بعنوان (نصر من الله وفتح قريب)»، YouTube <https://www.youtube.com/watch?v=xAAHWYFpCbY>

«فما ينتظرنا بعد الصبر والجهاد هو الأفضل» (تنظيم القاعدة)^(١).
 «تحلّ بالصبر؛ فالصليبيون ينزفون حتى الموت، والرافضة يتهاونون، واليهود يقتلهم الرعب»
 (داعش)^(٢).



شكل ٢-٤: الصبر والقضاء والقدر
 ونسبة المصادر الخاصة بكل جماعة، التي تشير إلى هذا الموضوع.

(١) Abu Baseer, “The Glad Tidings of Victory”, *Inspire*, no. 13, *Neurotmesis: Cutting the Nerves and Isolating the Head* (2014): 22-24.

(٢) “And Allah Is the Best of Plotters”, *Dabiq*, no. 9, *They Plot and Allah Plots* (Shaaban 1436 H.): 50-59.

دراسة حالة

صور نهاية الزمان

يتم استغلال صور نهاية الزمان بشكل كبير في الدعاية وخاصةً فيما تقدمه داعش. فإن التذكرة بفكرة نهاية الزمان و«خط النهاية» يضيف هدفاً إلى القضية، ويسعى إلى جعل الجهاد في الوقت الحديث يبدو أمراً بنّاءً ومسعىً مجزئاً، وليس مجرد إيذاء للعدو. وفي الواقع هناك اعتقاد باقتراب يوم القيامة مع تأسيس الخلافة، ومن ثمّ يلوح في الأفق أيضاً الجزء الطيب لمن ضحوا بأنفسهم في سبيلها؛ الأمر الذي يُفسّر وجود هذه الإشارات بشكل كبير في دعاية داعش. وعندما تشير جبهة النصرة إلى نهاية الزمان يكون ذلك بشكل أقل إصراراً، مثل ما ظهر على إحدى لوح الإعلانات بإقليم خاضع لسيطرة الجماعة؛ حيث ظهر بأحد أجزائها بعض الآيات القرآنية المرتبطة بهذه الفكرة: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوقاً رَبِّكُمْ إِنَّا نَزَّلْنَا السَّاعَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(١).

أما بالنسبة إلى الدعاية الخاصة بكل من داعش وتنظيم القاعدة؛ فالإشارات إلى نهاية الزمان أوضح، وتستخدم العديد من الصور التي ترسخ هذه الصورة. فقد أشارت داعش في العدد التاسع من مجلة «دابق» إلى حديث نبوي يشير بشكل قوي إلى نهاية الزمان. لقد نوه النبي الكريم بأن المسلمين سيظلون في حالة قتال دائم مع الكفار حتى نزول المسيح عليه السلام لقيادة جيوش المسلمين فقال «إن قتال الكفار والهجرة ماضٍ إلى قيام الساعة»، كما قال أيضاً «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» [رواه أبو داود عن معاوية].^(٢)

وفي أسلوب مماثل ذكر مقال «بشائر النصر» المنشور في العدد الثالث عشر من مجلة «إنسابير» حديثاً نبوياً آخر يصف المارك التي سوف تقع في شبه الجزيرة العربية وبلاد فارس ثم بلاد الروم قبل الموقعة الحتمية مع الدجال؛ وفي كل موقعة «سينصرنا الله».

(١) «سورة الحج»، في القرآن الكريم: الآية ١.

(٢) «And Allah Is the Best of Plotters».

ومن ثم، فالدعاية الجهادية تسعى إلى تذكرة الأمة بقرب يوم القيامة؛ وذلك من خلال سعيها الحثيث إلى توصيل رسالتها بأن الجاهدين حالياً ليسوا سوى ميسرين لما كتبه الله بالفعل. ويصبح الصبر في هذا الإطار عنصراً رئيسياً للوصول إلى الهدف الحتمي؛ حيث يطمئن الأتباع للنصر دون أن يعلموا متى يقربه أو بعده. إن اليقين بالنصر هو أحد الأسباب الرئيسية وراء التأكيد على نهاية الزمان في الدعاية. وعلى الرغم من أن وجود مقر الخلافة بسوريا قد يكون ذا فائدة عظيمة لداعش، فإن الجماعات الثلاث تستخدم صور نهاية الزمان لتؤكد أن الجهاديين سيحيون حتى قيام الساعة، ومن ثم يصبح كل من الأيديولوجية والقضية نفسها مسعى خالداً.

ولكن وجود قيمة الصبر لا ينفي إيمان هذه الجماعات بأنهم يحاربون معارك نهاية الزمان. ويظهر ذلك بوضوح في الانقسامات الثنائية بين الخير والشر والحق والباطل وحتمية انتصار الخير بسبب تفضيل الله له. ولا يمكن الفصل بين فكري انتصار الخير ونهاية الزمان: «في الواقع، إن قتال الكفار والهجرة والجهاد مستمر حتى قيام الساعة» (داعش)^(١).

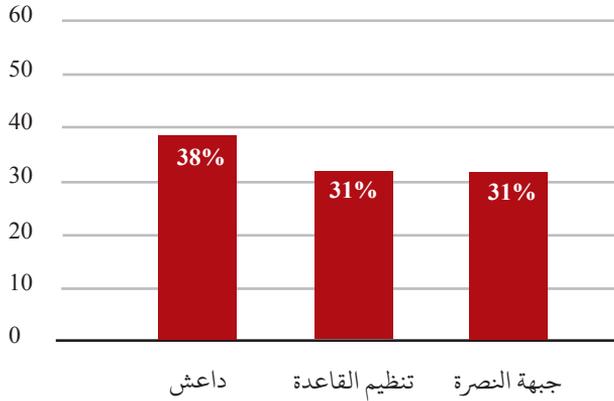
وتهدف هذه الانقسامات الثنائية إلى تسليط الضوء على أهمية القيم خاصة لدى أنصار الجماعة؛ كما أنها تعزز اليقين عن طريق عدم السماح بمنطقة وسطى، والتأكيد على أن من يحاربون في صف الجماعة هم الأخيار، وأن من يحاربون ضدها هم أتباع الشر. ويظهر ذلك الخطاب الثنائي أيضاً من خلال التضاد بين الحق والباطل، الذي يسهم أيضاً في تعزيز الخطاب الخاص بقيام الساعة: «ستظل دائماً جماعات من أمتي تحارب لأجل إظهار الحق حتى قيام الساعة» (داعش)^(٢).

توجد هذه الفكرة في الدعاية بنسبة ٢٣٪ مما تم دراسته، تتوزع بالتساوي بين الجماعات الثلاث. ويشير ذلك إلى أن جمهور جماعة جهادية بعينها هو جزء من المعركة الكبرى بين الحق والباطل وفقاً للقيم العقائدية التي تم تناولها مسبقاً؛ بحيث تتم الإشارة إلى «المجاهدين» بأنهم «حماة الحق». وقد تم تعزيز هذه الفكرة من خلال الإعلام. فوسائل الإعلام، لسان حال الغرب أو الحكومات

(١) "And Allah Is the Best of Plotters".

(٢) المرجع السابق.

الإسلامية «المرتدة»، تُروّج للباطل، في حين تنشر الجماعة الحق وحدها. وفي الواقع، دائماً ما تُشير دعاية داعش إلى وسائل الإعلام على أنها «شاشات الضلال».



شكل ٢-٥: تفصيل انتصار الحق على الباطل ونسبة المصادر الكلية التي أدرجت هذه الفكرة وفقاً لكل جماعة.

ويمثل هذا الخطاب تحدياً محدداً للسرديات المضادة للأيديولوجية؛ حيث تُقدّم الجماعات نفسها كقوى مناصرة للحق، ومن يخالف هذا الخطاب، فلا بد أن يكون مروجاً للباطل بالنسبة إلى أولئك ممن يظهرون تعاطفاً مع ما تقدمه من دعاية. إلا أن هذا الوضع قد ضعف بسبب تقديم الجماعات الثلاث لفكرة انتصار الحق على الباطل بشكل متساوٍ. ولأن كلاً من جبهة النصرة وتنظيم القاعدة قد قامت بمحاربة داعش في وقتٍ ما، فإن ادعاءاتهما قد تم تقويضها.

وترتبط القيم بعضها ببعض بشكل أكبر عن طريق الوظيفة السردية التي تقوم بها الدعاية لتقديم «عامل جذب» لمن قد يرغبون في القتال؛ حيث تحاول الإجابة عن سؤال لِمَ قد يرغب المرء في القتال؟ وإن كان الأمر محسوماً، فلمَ قد يرغب في الانضمام إلى صفوف جماعة بعينها دون غيرها؟ تقوى الدعاية بتطبيقها المستمر للقيم في سياق الجهاد. إلا أنها يتم إضعافها في الوقت نفسه عن طريق التعريفات الفضفاضة للقيم العقائدية مثل الإيمان والإحسان والتوحيد والقضاء والقدر وتطبيقاتها؛ لأجل حث الجمهور في اتجاه هدف واحد بعينه. وربما كانت هذه التطبيقات

المتضاربة مجالاً يمكن للروايات المضادة التركيز عليها عن طريق تقديم تعريف أكثر تحديداً لهذه القيم والمبادئ ومحاولة إدراكها بعيداً عن الجهاد. وترتبط جميع هذه القيم التي تم تناوّلها هنا ارتباطاً وثيقاً. وبالرغم من تصنيف مجموعة من هذه الأفكار على أنها «قيم عقائدية»، فهذا هو السياق الوحيد الذي تم تقديمها فيه كعنصر ذي أساس عقائدي. وتعد هذه جميعاً قيماً دينية لا يمكن فصلها بعضها عن بعض، وعلى الرغم من أن الفكر السلفي الجهادي يفسرها بشكل مغاير تماماً لتفسير أغلب المسلمين لها، فإنها ما زالت ما يربط الحركة بالدين الإسلامي. ومن ثم، فإن الأيديولوجية غالباً ما تخضع لانتقادات التيار الإسلامي السائد، خاصةً فيما يتعلق بما تهتم به من أفكار وما تقدمه من تفسيرات.

ومع ذلك، فحتى يتسنى للروايات المضادة النجاح، يجب عليها الاعتراف بترابط هذه القيم. فتوجيه الانتقادات لإحدى الجماعات يعد مهمة لا جدوى لها لأن الآخرين يدعونها؛ كما أن مهاجمة القيم وحدها لن يُقدر لها النجاح؛ لأنها مرتبطة بدورها بعدة تصنيفات أخرى سيتم تناوّلها فيما يلي.

الأهداف

يمكن القول إن أفضل تجسيد للقيم الجهادية يتمثل في أهداف الحركة. على الرغم من أن الجماعات الجهادية تتشارك في المهمة الأيديولوجية الكبرى نفسها، فإنه يجب أن نمر عند هذا المستوى من الدعاية بالاختلافات المتعاقبة في استراتيجية التواصل؛ حيث تقوم كل جماعة على حدة باختيار ما تقدمه من روايات لخدمة صراعاتها على أكمل وجه، وعادةً ما يختلفون بشكل كبير حول أفضل ممارسة جهادية.

وقد يكون من المفاجئ أن الإشارات إلى الأهداف الكبرى للحركة الجهادية، مثل تأسيس الخلافة، لم تظهر بشكل كبير في نماذج الدعاية التي تم تحليلها. ويوحى ذلك بأن الجوانب البتاء للجهاد تأتي في مقام ثانوي في الرسائل التي توجهها الجماعات للخارج، ربما لأنهم يخشون خسارة جزء من جمهورهم المنشود المهتم بشكل أكبر بعملية الجهاد والمجد الذي يمكن تحقيقه من خلالها في وقت قصير بدلاً من الهدف الكلي الطويل الأمد للقضية. إلا أن قدرًا كبيرًا من أهمية

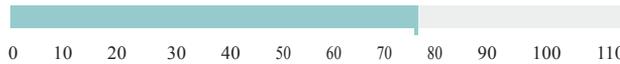
هذه الأهداف الأيديولوجية في الدعاية يكمن في الترابط بينها وبين الأفكار الأخرى، خاصةً فيما يتعلق بمفهوم «العدو» و«الآخر»، كما تمت صياغتهما في الهوية الجماعية المشتركة للجهاديين. ويتناول هذا الجزء ما تسعى الجماعات الجهادية إلى إنجازه وما هي أولوياتهم. وترتبط هذه الأهداف بعضها ببعض من خلال سرد بناء وهدام في آن واحد؛ بحيث يهدم النظام الجغرافي-السياسي «المرتد»، وفي الوقت نفسه يبني نظامًا مثاليًا يستند إلى تاريخ رومانسي وامتخيل، على الأقل جزئيًا.

الخلافة

استحوذت «الخلافة» التي أعلنها أبو بكر البغدادي في يونيو ٢٠١٤ على عقول آلاف الجهاديين حول العالم، وتصدرت وسائل الإعلام العالمية، وأصبح لفظ «داعش» رمزًا لعهد الرعب والذعر في كل من سوريا والعراق. ولكن يجدر القول هنا إن هذا الهدف، أي تأسيس دولة الخلافة، هو هدف مشترك لكل من تنظيم القاعدة بشبه الجزيرة العربية وجبهة النصرة؛ وتظهر إشارات إلى هذه الفكرة في ٣٨٪ من الدعاية. وظهرت الإشارات الصريحة إلى الخلافة في ٢٧٪ من الدعاية؛ ولم يكن مثيرًا للدهشة أنه كان لداعش نصيب الأسد من هذه الإشارات؛ حيث بلغت نسبتها ٧١٪ من الإشارات الكلية. وتسعى هذه الجماعة حثيثًا إلى إظهار مشروعيتها هذه «الدولة الإسلامية»، ذلك الكيان الذي تقدمه على أساس أنه واجب ديني؛ متخذين نموذج «الخلفاء الراشدين» في صدر الإسلام قدوةً يُحتذى بها.

الصورة الشاملة

الأهداف ١١٤/٧٥



فئات الأهداف

تأسيس دولة الخلافة

43

العدو الأدنى/ الأقصى

75

نهاية الإذلال

39

الموضوعات المتعلقة بتأسيس دولة الخلافة

الخلافة

31

بناء الأمة

21

رفض القومية

9

الموضوعات المتعلقة بالعدو الأدنى / الأقصى

العدو الأدنى

37

العدو الأقصى

58

الموضوعات المتعلقة بنهاية الإذلال

إعادة كرامة الأمة

33

التحرر

19

شكل ٣-١: تفصيل الموضوعات المتعلقة بالأهداف، من خلال عدد المصادر التي تظهر فيها بشكل مباشر.

وكذلك هو الحال مع فكرة قيام الساعة، فإن أهمية الخلافة تم تناولها وافترضها على نطاق واسع في الدعاية، الأمر الذي يشير مرة أخرى إلى الآراء التي يؤمن بها حشد كبير. ووفقًا لما توصلت إليه دراسة أجريت عام ٢٠٠٧، فأكثر من ثلثي المجيبين في مصر وباكستان والمغرب يعتقدون في وجوب تأسيس دولة خلافة.

ومن المثير للاهتمام أن هذا التركيز على الجانب البنّاء للجهاد (أي ما يتم الصراع لأجله بدلاً مما يتم الصراع ضده) يُعد أمرًا محدودًا ويتشابه بشكل كبير مع الموضوعات الأيديولوجية الأخرى، خاصة القيم والسلوك الجهادي والجوانب المختلفة للهوية الجماعية. لا يوجد شك في أهمية الخلافة في الفكر الجهادي، ولكن تنوع الروايات بشكل كبير حول شرعية إعلان البغدادي في يونيو ٢٠١٤ بوجه خاص.

تعريفات الموضوعات الرمزية للأهداف

تأسيس دولة الخلافة

الخلافة: أحد أشكال الحكم الإسلامي التي ظهرت بعد وفاة النبي محمد. يُعرف القائد بـ«ال خليفة»، ويجب أن يتم تعيينه عن طريق الشورى وفقاً للفكر السني، وأن يُمثّل مصالح المجتمع الإسلامي بأكمله.

بناء الدولة: إحدى الأفكار الرئيسية التي تعد «عامل جذب» يهدف إلى تشجيع الهجرة من الخارج، ويشمل تقديم نظام تعليم فعال وخدمات صحية جيدة.

رفض القومية: ترى جماعات السلفية الجهادية أن فكرة القومية هي عبادة وثنية مساوية للشرك، ومن ثمّ فهي ترفض تماماً فكرة الدولة القومية، وتنادي بتأسيس الحكم الإسلامي الشرعي لدولة الخلافة بدلاً منها.

العدو

العدو الأدنى: هو نوع من الخطاب الازدرائي يشير عادةً إلى المسلمين الشيعة والأنظمة «المرتدة» بما فيها نظام الأسد وإيران والعراق واليمن والمملكة العربية السعودية وغيرها.

العدو الأقصى: وتعني الإشارة إلى العدو البعيد الذي طالما تم توجيه اللوم إليه من الظلم والقهر الذي عانى منه العالم الإسلامي على مدار التاريخ. ودائمًا ما يُشار إلى أميركا على أنها «ال شيطان الأكبر» في حين تكون دائماً فرنسا «حاكمة وبذيئة».

نهاية الإذلال

إعادة كرامة الأمة: الهدف الخاص بإنهاء «الإذلال» الذي تدبره القوى الخارجية ضد الإسلام وإعادة الإسلام إلى سابق مجده.

التحرر: هي الدعاية التي تشير إلى الصراع ضد القمع، وتمحور حول الربط السلس بين الماضي المجيد والحاضر.

فبعيداً عن كيفية تسويق داعش لنفسها، فإن العديد من الإشارات للخلافة في الدعاية الجهادية تعد جزءاً من ردود لاهوتية مكثفة من الجماعات الأخرى حول مشروعية ادعاءات داعش. وتقول جبهة النصرة تحديداً إن الشروط اللازمة لإعادة الخلافة لم تتحقق لدى داعش. وعلى الرغم من أنه قد تم استخدام الكثير من المواد الدعائية لتنظيم القاعدة، التي ظهرت مؤخراً حول هذا الموضوع لإدانة ادعاءات داعش، فإن كلاً من تنظيم القاعدة وجبهة النصرة يشير في بعض الأحيان إلى الهدف البعيد لإنشاء دولة الخلافة، بالإضافة إلى الاهتمام السائد بتطبيق الشريعة في معاقبتها: «ألا تريد أن تكون جزءاً من جيوش الله، التي ترفع راية التوحيد وإرادة الله وتعيد الخلافة» (تنظيم القاعدة)^(١).

ويتضح هذا الرفض الديني لمشروعية خلافة داعش في مجلة «الرسالة» [الصادرة بالإنجليزية]؛ حيث نُشر مقال بعنوان «عام من الخلافة» يتصدره كاريكاتير لأبي بكر البغدادي بهدف تشويه ادعاءات داعش حول كونها الدولة الإسلامية المزعومة، وخاصةً تأكيد قائدها بأنه أمير المؤمنين. لم تكتفِ جبهة النصرة بانتقاد مشروعية الخلافة المزعومة - قائلة بأن العديد قد «قاموا بتقديم البيعة والولاء إلى البغدادي بناءً على العواطف» إبان «الفترة المرتبكة» للجهادية العالمية - فحسب؛ وإنما انتقدت أيضاً أساليب داعش: «لقد أضفوا على الدين والحركة الجهادية صبغة دموية، حتى إن الناس بدأوا يظنون أن الجهاد لا يشمل سوى القتل والذبح» (جبهة النصرة)^(٢).

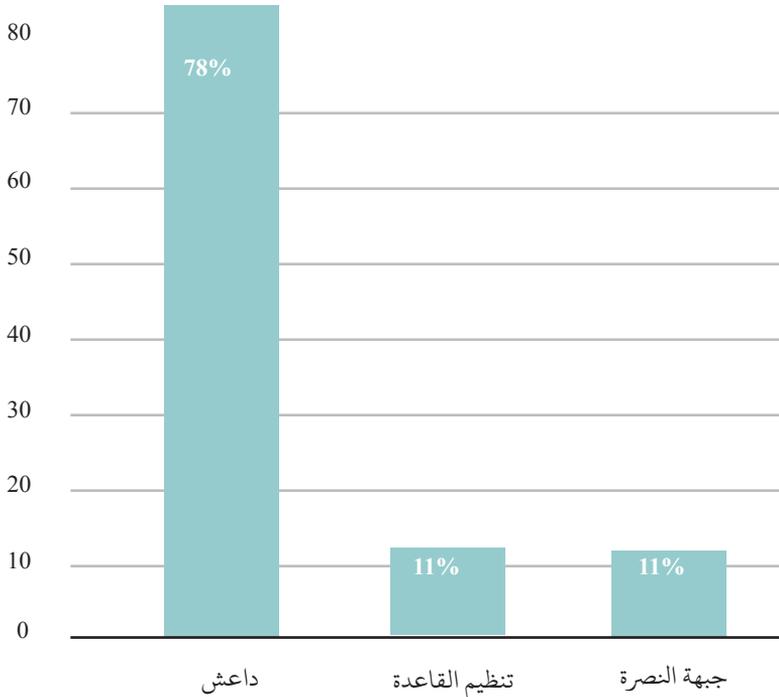
وفي اتهام آخر لداعش بأنها أساءت فهم الفرضية الأساسية للخلافة، فقد نشر بالمجلة صورة بدت متأثرة بالفيلم الملحمي «٣٠٠»، أشارت إلى أن «الخليفة يجب أن يكون درعاً للأمة وليس سيفاً ضدها»^(٣). وتُظهر كل من اللغة والصور أن الخلافات الناشئة بين الجماعات حول وضع الخلافة يرجع بشكل كبير إلى الاختلافات الروائية والاستراتيجية، وليس النزاعات الأيديولوجية الأساسية.

Hāfiz Al-Uruppi, "Sincere Advice from a Muhajir", *Inspire*, no. 12, *Shattered: A Story about Change* (١) (2014): 15.

Abu Faruq Al Muhajir, "Khalifa: One Year on", *Al-Risalah*, no. 1 (July 2015): 24, online e-article, (٢) <https://archive.org/details/AlRisalahIssue1Desktop>

"The Khalifa Should Be the Shield of the Ummah, Not the Sword against It", *Al-Risalah*, no. 1 (July 2015): 31. (٣)

وبالإضافة إلى المثل الفلسفية العظمى للخلافة، تؤدي الرواية الفرعية لعملية بناء الدولة جزءاً في دعاية داعش، بما في ذلك تقديم نظام تعليمي فعال وخدمات صحية جيدة. وتظهر هذه الفكرة في ١٨٪ من الدعاية التي تم دراستها والتي مثلت داعش ٥٧٪ منها. ويستخدم السرد في الدعاية بشكل كبير كعامل جذب يهدف إلى تشجيع الهجرة من الخارج. ومن المثير للاهتمام أيضاً أن الإشارات إلى بناء الدولة قد وُجدت في ١٩٪ من الدعاية الخاصة بجهة النصرة، وربما كان هذا مؤشراً إلى رغبتها في إنشاء دولة إسلامية في سوريا. ولكن يعد ذلك أمراً أقل أهمية بالنسبة إلى تنظيم القاعدة؛ ربما لأنها تعد تنظيمًا أقل إقليمية (على الرغم من أن الأحداث التي وقعت في اليمن عام ٢٠١٥ قد تكون غيرت ذلك الوضع) ولا تسعى إلى تشجيع الهجرة إلى «دولتها».



شكل ٣-٢: تفصيل رفض القومية

ونسبة المصادر الكلية التي أدرجت هذه الفكرة وفقاً لكل جماعة.

ومن الروايات المؤثرة أيضًا حول مركزية الخلافة الرواية الخاصة برفض فكرة القومية؛ حيث تسود الدعاية الخاصة بداعش التي شملت نحو ٧٨٪ من الإشارات، في حين لم تتعدَّ نسبتها ١١٪ لدى كل من جبهة النصرة وتنظيم القاعدة.

وفي المصادر التي ترفض مفهوم الدولة القومية، امتد الأمر لمساواتها بعبادة الأوثان والشرك؛ حيث اشتركت جميع الجماعات في الإشارة إلى القادة «القوميين» بأنهم طواغيت. ويتيح هذا الانقسام الثنائي للفكر الجهادي أن يحتزل العالم إلى معسكرين: الأمة ومعارضيه. ووفقًا لداعش، فهي مجموعة من المبادئ الدينية المشتركة التي تمثل القوة الموحدة الرئيسية لدولة «الخلافة». وسيتم تناول هذا الجانب المتجاوز للحدود الوطنية بالتفصيل فيما يلي.

تشير أغلب المادة الدعائية لهذه الفكرة إلى تقسيم القوى الأوروبية للشرق الأوسط بعد نهاية الحرب العالمية الأولى إلى دول مصطنعة (وذلك من خلال اتفاقية سايكس بيكو وغيرها) وما تلاها من انهيار للإمبراطورية العثمانية التي من المفترض أنها تُلخَّص المفهوم الوجودي القائم بأن الدولة القومية ما هي إلا وارد أجنبي فرضته الدول الغربية حتى يتسنى لها تقسيم العالم الإسلامي.

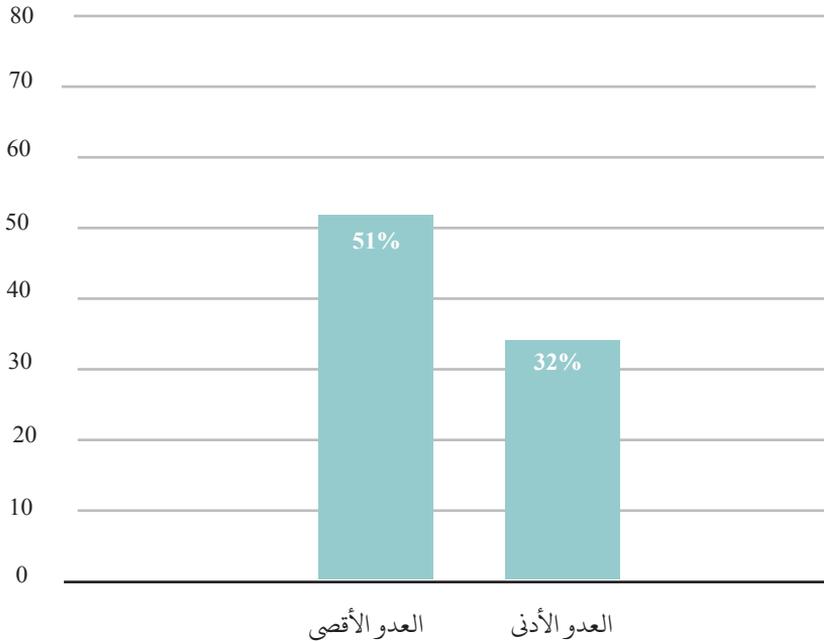
وتمثل مثل هذه الإشارات إلى الماضي المجيد (والمرتبطة بالحاضر بشكل سلس) نوعًا آخر من السرد الهام الذي تستخدمه الجماعات الجهادية لتأكيد أهدافها وتصرفاتها. ويتضح ذلك من خلال فيلم مدته ٤٥ دقيقة أنتجته جبهة النصرة بعنوان «ورثة المجد»؛ حيث تضع الأيديولوجية الجهادية نفسها ضمن إرث من النجاح العسكري والتدين. وبالرغم من أن الإشارات المباشرة إلى الماضي المجيد تظهر في ٨٪ فقط من مواد الدعاية التي تمت دراستها، فإنها توجد بشكل ضمني في جزء كبير من البؤرة الأيديولوجية.

وعلى الرغم من أن هذا الماضي المجيد يشير بشكل مباشر إلى النبي محمد وأصحابه، كما يُفسَّر في سياق فكر هذه الجماعات (للمزيد حول هذه الفكرة، انظر المنهج النبوي)، فإن العديد من العناصر الموجودة في الدعاية والمرتبطة بهذه الفكرة تشير إلى تاريخ أحداث، بما في ذلك العلاقة المتناقضة بين الجماعات الجهادية والخلفاء العثمانيين، الذين تمت الإشارة إليهم سبع مرات في هذه العينة، سواء سلبًا أو إيجابًا. ويعد هذا مثالًا رمزيًا للاستخدام الانتقائي للتاريخ الذي

تتبعه الجماعات الجهادية لخدمة أغراضها. وفي هذا السياق، يتداخل السرد بوضوح مع العنصر الأيديولوجي الخاص بنبأ الجهاد ومع تبني تقاليد الشهامة العتيقة (والذي عادةً ما يكون حرفياً) حيث تذكر السيوف والأسهم والرماح والدروع في ١٨٪ من الدعاية. وسوف يتم تحليل هذا الجانب بشكل أكثر تفصيلاً في الجزء الخاص بالسلوك. يتوافق مبدأ استعادة الشرف هذا كثيراً مع فكرة القضاء والقدر وحتمية النصر، بشكل جعل منها ذات أهمية قصوى لقيم الحركة الجهادية.

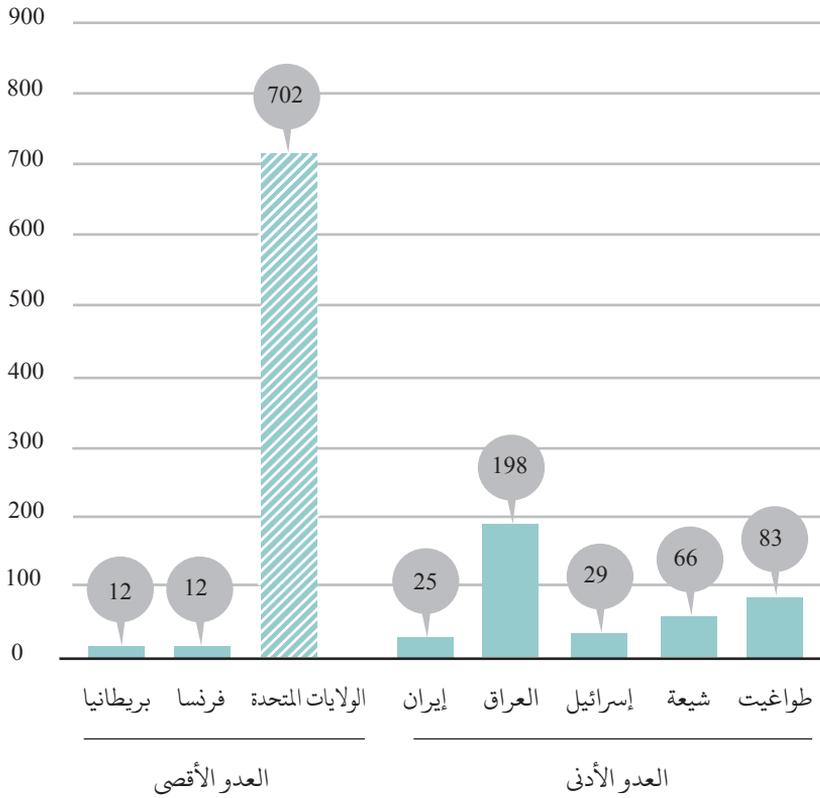
العدو الأدنى/ العدو الأقصى

تُمثل فكرة العدو الأدنى/ العدو الأقصى في الأيديولوجية الجهادية موضوعاً غنياً للتحليل، وتشمل الحديث عن الأنظمة المرتدة في الشرق الأوسط وآسيا والدول الغربية وتحديدًا الولايات المتحدة الأمريكية.



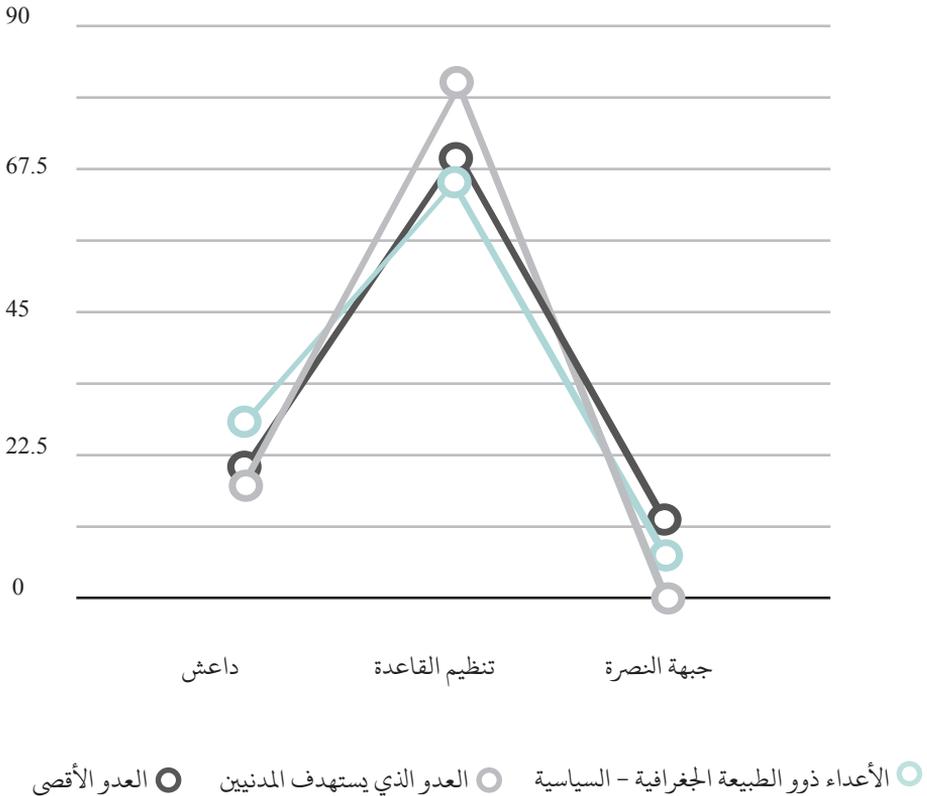
شكل ٣-٣: العدو الأقصى/ العدو الأدنى
ونسبة المصادر الكلية التي أدرجت هذه الفكرة وفقاً لكل جماعة.

ويستمر الجهاد في النمو كظاهرة عالمية؛ حيث يتيح التواصل والعملة ووسائل التواصل الاجتماعي والأخبار المتواصلة على مدار ٢٤ ساعة للجماعات الجهادية أن تدعي مسؤولياتها عن الهجمات التي قد يكونون مصدر إلهام لها، لكن بالقطع لم يخططوا لها أو يقوموا بتوجيهها. ونجد مثلاً واضحاً على ذلك في صبيحة هجمات باريس في يناير ٢٠١٥ ومقتل ١٥ شخصاً في مكاتب صحيفة «شارلي إبدو»؛ حيث ادّعى الأخوان كواشي أنهما كانا يعملان تحت قيادة تنظيم القاعدة بشبه الجزيرة؛ كما صورّ أميدي كوليبالي الذي قتل أربعة أفراد أثناء الاستيلاء على سوبر ماركت لليهود بباريس، مقطع فيديو يقسم بالولاء لداعش. وقد عدّت كلتا الجماعتين المهاجمين من الشهداء.



شكل ٣-٤: الإشارة إلى أعداء بعينهم ونسبة الإشارات في المصادر كافة.

توصلنا من خلال البحث إلى أن فكرة العدو الأدنى/ الأقصى من بين الأفكار الأكثر حركية وتدفعًا بالأيديولوجية الجهادية، وأحد العوامل المرتبطة بشكل كبير بالبيئة المحلية لكل جماعة والظروف المحيطة بها. وتشير البيانات أن أذى العدو الأقصى (أي الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وإسرائيل وبريطانيا وروسيا واليابان... إلخ) يظهر كهدف أكبر، مقارنةً بالإشارات إلى العدو الأدنى. فقد بلغت نسبة الإشارات إلى العدو الأقصى بالدعاية ٥١٪، يرجع أغلبها لتنظيم القاعدة من مجموع ٦٤٪.



شكل ٣-٥: تداخل الموضوعات المرتبطة بالعدو الأقصى ونسبة المصادر الكلية التي أدرجت هذه الفكرة وفقاً لكل جماعة.

وعلى الرغم من احتكارها لأنظار الإعلام في العالم الغربي تقريباً، فإن صقل دعاية داعش يُركّز على العدو الأدنى وليس العدو الأقصى، بما في ذلك المسلمون الشيعة وإيران والحكومة العراقية ونظام الأسد والنظام اليمني والمملكة العربية السعودية وزعماء إقليميون آخرون. وتسهم داعش بـ١٩٪ فقط من المصادر التي تم تناوّلها في هذه العينة، وتشمل الإشارة إلى العدو الأقصى، في حين كان لها نصيب الأسد من المصادر التي تشير إلى التهديد القريب بنسبة بلغت ٥٩٪. وعلى صعيدٍ آخر، أوضحت المصادر أن تنظيم القاعدة يحتل ٢٢٪ من نسبة الإشارات إلى العدو الأدنى. وتلقي هذه النتائج الضوء على أن أهمية المادة الدعائية الجهادية في الترويج للهجمات ضد العدو الأقصى تنبع من المصادر التابعة لتنظيم القاعدة بشبه الجزيرة العربية. ومن الجدير بالذكر أن الخطاب الذي تستخدمه الجماعات الثلاث حول كل من العدو الأدنى والعدو الأقصى يرتبط بشكل كبير بمفهوم الشُّرك؛ إذ إن ما يُعرف بالأنظمة «المرتدة» يمثّل «أوثاناً».

تلقي إشارة دعاية داعش إلى العنف تجاه العدو الأدنى في أغلب المصادر - والتي بلغت ضعف الإشارة إلى العدو الأقصى - الضوء على أن المسلمين الذين يعيشون في المناطق القريبة من مسرح الأحداث هم من يتحملون وطأة العنف الوحشي.

هناك تداخل واضح بين الإشارات إلى العدو الأقصى والدعاية التي تُركّز على تبرير قتل المدنيين على ما يبدو بهدف الترويج للإرهاب المستند إلى الجهاد الفردي ضد العدو الأقصى. فالعديد من المصادر التي تشير إلى استهداف المدنيين شملت في الوقت نفسه إشارات إلى العدو الأقصى بشكل يوضح القوانين المحددة للمشاركة بين دار الحرب ودار الإسلام. وتوضّح هذه الصلات كيف يمكن جمع الروايات المتنوعة والمتراصة في آنٍ واحد لدعم تماسك عناصر الفكر الجهادي.

ويمكن أن يتضح الفرق بين السردية والأيدولوجية من خلال تنظيم القاعدة. فقد شرع بشن عدد من الهجمات ضد أهداف غربية هامة، بما في ذلك مؤامرة تفجير طائرة عام ٢٠١٠، وقد قدمت في مجلتها الدعائية «إنسباير» أيضاً دلائل إرشادية توضح كيفية شن الهجمات على طائرات الركاب خطوة بخطوة.

دراسة حالة

الفرق بين الدعاية باللغتين العربية والإنجليزية

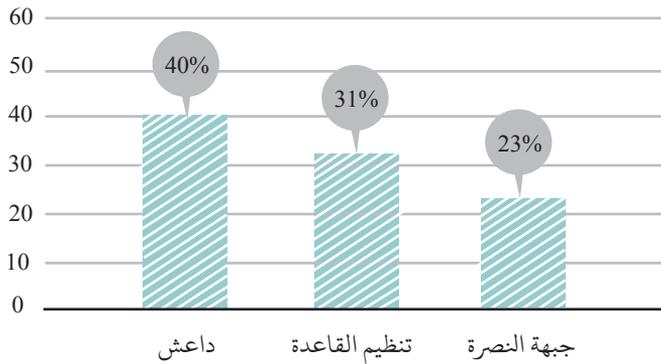
على الرغم من اشتراك الدعاية باللغتين الإنجليزية والعربية في بعض الموضوعات، فإن هناك بعض الفروق الواضحة؛ أهمها ذلك الاهتمام الملحوظ الذي تبديه الدعاية بالعربية بفكرة العدو الأدنى. فبالرغم من أن عدد المصادر العربية يحتوي على مزيج من الإشارات لكل من العدو الأدنى والعدو الأقصى (متكافئ مع ما جاء في المادة الدعائية الإنجليزية)، فإن جميع المصادر العربية تشمل إشارات أكثر للجماعات الشيعية بما في ذلك تلك الموجودة في العراق وإيران واليمن والأنظمة الإقليمية المسلمة الحاكمة في المملكة العربية السعودية ومصر وليبيا وتونس والجماعات العرقية الأخرى مثل الأكراد.

وفي خطاب ألقاه المتحدث باسم داعش أبو محمد العدناني بتاريخ ٢٣ يونية ٢٠١٥ بعنوان «يا قومنا أجبوا داعي الله»، كثرت الإشارات الغنية بالتفاصيل للعدو الأدنى مع التأكيد على المجتمع الشيعي بالعراق بشكل خاص. وكان خطاب العدناني موجهاً إلى الجمهور السني بالعراق، الأمر الذي يتضح من خلال البيان. وتتفق الدعاية الخاصة بكل من تنظيم القاعدة وجبهة النصرة وداعش في إشارتهم جميعاً إلى الشيعة باستخدام اللفظ المهين «الرافضة»، في حين يُشار دائماً إلى العدو الأقصى بـ«الصلبيين». ومع ذلك، فالإشارات إلى العدو الأقصى في المحتوى العربي ضئيلة، وتكون في سياق تغريب وشيطة الشيعة بالعراق. وعقب سرد تفصيلي للإساءات التي تصيب السنة ببغداد يقول العدناني: «يا أهل السنة في كل مكان، لقد قرر الصليبيون إخلاء العراق تماماً من أهل السنة وجعلها من الرافضة فقط». ولكن يتطرق العدناني ثانيةً لمشكلة الشيعة بالعراق دون أن يولي ما يُعرف بالتحالف بين «الصلبيين والرافضة» سوى قدر ضئيل من الاهتمام. وبهذا، يظل الاهتمام بإثارة مشاعر الغضب تجاه الشيعة وتهميش الأقليات في سياق الجهد المبذول لتوحيد المجتمعات السنية.

وتتضح أساليب مُماثلة في العديد من مقاطع الفيديو المنشورة باللغة العربية، التي أنتجتها وسائل الإعلام المحلية أو الرسمية دون ترجمتها إلى الإنجليزية للجمهور غير الناطق بالعربية. وحمل كثير من هذه المقاطع تأكيداً على فكرة بناء الدولة. ففي فيديو أصدرته مؤسسة الفرقان

للإنتاج الإعلامي التابعة لتنظيم داعش بعنوان «خير أمة» بتاريخ ٨ مايو ٢٠١٤، دليل على أن عملية بناء الدولة من الأفكار السائدة بالدعاية. فبعد تتبع أحد أعضاء ما يُعرف بمكتب الحسبة (الشرطة الدينية) بمدينة الرقة، يأخذ الفيديو المشاهدين في رحلة عبر شوارع المدينة وسكانها الذين يتعاملون بشكل إيجابي مع أعضاء داعش. وبهذا يتضح وجود اهتمام أكبر بعامل الجذب في محتوى الدعاية العربية عند مقارنتها بالمحتوى الإنجليزي. وعلاوةً على هذا وبما يتفق مع خطاب العدناني، تكثر الإشارات إلى العدو الأدنى من خلال مقطع الفيديو بشكل يُشجّع المشاهد على اعتبار عهد الأسد كانهيار عن الإسلام ونوع من الفساد والشرك. وتماشياً مع هذا الاهتمام بالعدو الأدنى، يُختتم الفيديو بلقطات تُصوّر هدم أحد مساجد الشيعة بدعوى أنه يضم أضرحة «وثنية».

وعلى كل، فإن المحتوى العربي الذي تم تحليله في هذه العينة، بالإضافة إلى الخطاب الطائفي وتسليط الضوء على العدو الأدنى مقارنةً بالعدو الأقصى، يبدو أنه يحفز ويؤدي إلى ظهور موضوعات أخرى بشكل منتظم في الدعاية الإنجليزية. ويوضح ذلك قدرة الدعاية الجهادية على تحويل تركيز روايتها بشكل استراتيجي لتناسب جمهورها المستهدف، على الرغم من توجهاتها العالمية المتزايدة.



شكل ٣-٦: وجود فكرة نهاية الإذلال

ونسبة المصادر الكلية التي أدرجت هذه الفكرة وفقاً لكل جماعة.

ولم يكن صعود حركة الحوثيين الشيعة باليمن إلى السلطة في بداية عام ٢٠١٥ كافيًا لإضافة بُعد العدو الأدنى في دعاية تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية. وقد يرجع ذلك جزئيًا إلى أن الجماعتين نادرًا ما تورطتا معًا في صراع مباشر، على الرغم من كونهما يعرفان دوليًا بمحاربتهما لنظام الرئيس اليمني الهادي. وقد يرجع ذلك بأشكال عدة أيضًا إلى أن العدو «الأدنى» هو أزيز الطائرات الأمريكية التي تُخلق في السماء، وتستهدف قيادات ومعقل تنظيم القاعدة بشبه الجزيرة العربية. وعلى ما يبدو أن صعود الحوثيين باليمن كان له أثر كبير في لغة الخطاب والدعاية للجماعات التابعة لداعش في البلاد، التي غالبًا ما استهدفت مساجد الشيعة المتحالفة مع الحوثيين. وسوف يتم تناول سرديات داعش الطائفية بشكل أكثر تركيزًا مقارنةً بمنافسيها؛ الأمر الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بهوية الجماعة، في جزء لاحق من هذا التقرير.

نهاية الإذلال

من الموضوعات الفكرية المرتبطة بتركيز الدعاية الجهادية على العدو الأقصى إنهاء إذلال العالم الإسلامي الذي تمارسه القوى الخارجية. وقد أظهرت النتائج هذه الرغبة لإنهاء إذلال المسلمين كأحدى أبرز الأفكار التي تتشارك فيها أجنحة الحركة الجهادية كافة، وتمت الإشارة إليها مرارًا في الدعاية الجهادية بشكل يوحي بأنه يمثل هدفًا قصير وطويل المدى في الوقت نفسه بالنسبة إلى الجماعات الثلاث. وتشير ٢٩٪ من الدعاية التي تم تناولها في هذه العينة إلى الرغبة في إنهاء إذلال الأمة؛ حيث أشارت إليه نسبة ٤٠٪ و ٣١٪ و ٢٣٪ في دعاية كل من داعش وتنظيم القاعدة وجبهة النصرة بالترتيب.

وبالنسبة إلى الجهاديين، يعد التحرر من الإذلال أمرًا هامًا للغاية؛ حيث إن هذه الحالة من الذل والعار تُمثل هجومًا مباشرًا ضد الدين نفسه. وفي تصريح صوتي أُذيع في مايو ٢٠١٥، قدّم أبو بكر البغدادي صراع العراق وسوريا على أنه «ضدكم وضد عقيدتكم»^(١)، بما يلائم تقسيم الجماعة للعالم من الناحية الأيديولوجية إلى معسكرين: المسلمين والمرتدين.

(١) محمد المصري، «مؤسسة الفرقان تقدم كلمة لمولانا أمير المؤمنين أبي بكر البغدادي بعنوان (انفروا خفاً وثقالاً)»، Internet Archive, https://archive.org/details/muhd_557

وتُوضَّح بيانات البحث الرابطة الوثيقة بين هدف إنهاء الإذلال والتركيز على العدو الأقصى. ويؤطر الخطاب المستخدم في الدعاية «الإذلال» الواقع على المجتمعات الإسلامية في شتى أنحاء العالم كنتاج للسياسة الخارجية التي يتبعها العدو الأقصى والاستغلال الاقتصادي للأراضي الإسلامية.

ليس من المفاجئ إذًا في هذا السياق أن يظهر من خلال تحليل الدعاية الصلة الوثيقة بين هذه السردية والترابط العالمي بين طوائف العالم الإسلامي كافة (الأمّة)، وكذلك التعقيب الجغرافي - السياسي الذي يشير إلى وجود محور ضد «حلفاء الله»، أو الجهد الكبير الذي يبذله العالم غير الإسلامي لإذلال الدول الإسلامية ذات الأبعاد السابقة. ويأتي في هذا السياق أيضًا العنصر الهام للقضاء والقدر بشأن إعادة الإسلام إلى مجده السابق؛ الأمر الذي ينعكس بشدة في الدعاية.

وتتضاعف قوة هذه الفرضية في الدعاية نظرًا لاعتقاد آخر أكثر انتشارًا - لا يعد متطرفًا في حد ذاته - يقول بوجود مؤامرة ضد المسلمين بالعالم. ووفقًا لاستبيان تم إجراؤه عام ٢٠٠٧، فإن ثلاثة أرباع المجيبين من مصر وباكستان والمغرب وإندونيسيا يؤمنون بأهمية ضرورة «الوقوف في مواجهة أمريكا والتأكيد على كرامة الشعوب الإسلامية».

ليس من المفاجئ إذًا أن تؤدي بعض العناصر التحريرية الهامة دورًا قويًا كسرد مصاحب. ففي حين يتم تصوير هذا الصراع ضد الاضطهاد والإذلال كمشروع للإصلاح وإعادة المسار بدلًا من التأسيس، يعتمد السرد على إضفاء عنصر عاطفي ورومانسي على ماضٍ عريق، وعدم ارتباطه بالحاضر بأي شكل من الأشكال، ويتم ذلك كله من خلال الدعاية. كذلك يتضح أيضًا أن هناك صلة واضحة في الدعاية بين الهدف الأيديولوجي الخاص بإنهاء الإذلال وما سيعقبه من إذلال للأعداء أو انتقام ممن مارسوا الاضطهاد ضد المسلمين. إن هذا النوع من السرد يعد دليلًا أيديولوجيًا للسلوك والتصرفات ووفقًا لمبادئ وقيم الفكر الجهادي.

السلوك

يُمثّل السلوك ثالث أهم عنصر في القوانين والمبادئ التي تُشكّل منظومة الأفكار. وبينما تُركّز القيم على الجهاد ويؤطر تناول الجماعات للأفكار الإسلامية السائدة ليركز على الجهاد، تركز مبادئ السلوك هي الأخرى على الجهاد. وفي ظل منظومة الأفكار، تنطوي قيم الجماعة على أهدافها. ومن ثم، فإن تحقيق هذه الأهداف يتطلب نوعًا معينًا من السلوك.

يُشكّل السلوك الذي تسعى الأيديولوجية إلى تشجيعه سلوك الجماعات الجهادية التي تم تناولها. فبينما يتم ذكر بعض الأفعال كدليل على الهمجية أو رفضها باعتبارها نوعًا من «طوائف الموت»، فمن الضروري إدراك سياقها. فعندما يهاجم المنظرون الجهاديون من أمثلة أبي محمد المقدسي داعش على أساس أفعال الجماعة، فهو يستند إلى مكانة وقواعد السلوك في الأيديولوجية الجهادية. ويمكن أن يُشكل فهم هذه المقاربة واستيعابها أساسًا قويًا للسرمد المضاد بناءً على التناقضات بين ما تعتبره الجماعة السلوك المثالي وما تقوم به فعليًا.

نُبَل الجهاد

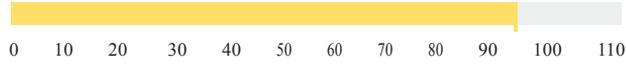
من أهم العناصر المحيطة بمفهوم السلوك التأكيد على نبل الجهاد، وكان هذا في واقع الأمر من أكثر الموضوعات السائدة في العينة بأكملها - مما يعكس اهتمام الأيديولوجية الدعائية بالجهاد - حيث ظهر في ٧١٪ من المصادر التي تم تناولها كافة.

دائمًا ما يُشار إلى نُبَل الجهاد سواء بشكل مباشر أو ضمني من خلال صور الجهاديين على صهوة الخيول والإشارة إلى الأبطال والفرسان والأسود. فعادةً ما يتم الإشارة إلى الأطفال بـ «الأشبال» في دعاية داعش، في إشارة إلى أنهم سيصبحون من الجهاديين في المستقبل^(١).

(١) أبو قدامة المهاجر، «ولاية دجلة // الإصدار المرئي // أشبال الخلافة»، Internet Archive, <https://archive.org/details/aashbaal.alkilafa-1>

الصورة الشاملة

السلوك ١١٤/٩٤



فئات السلوك

نُبل الجهاد



المنهج النبوي



إذلال الأعداء



الموضوعات المتعلقة بنُبل الجهاد

الشهامة



الرحمة



الجهاد الهجومي



الجهاد الدفاعي

35

المنهج النبوي*

16

الموضوعات المتعلقة بإذلال الأعداء

استهداف المدنيين

17

إذلال العدو

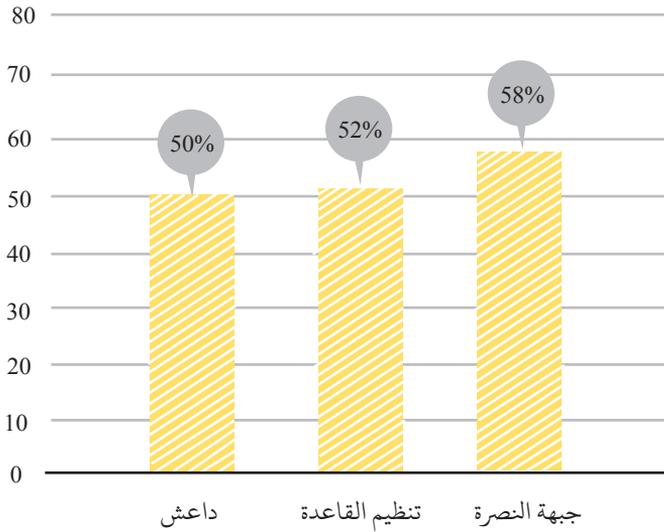
12

* يشمل الموضوع الفئات كافة.

شكل ٤-١: تفصيل الموضوعات المتعلقة بالسلوك، من خلال عدد المصادر التي تظهر فيها الموضوعات بشكل مباشر.

ويرتبط ذلك جزئياً بالفكرة السردية المتعلقة بإضفاء نوع من المثالية على الصراع كوسيلة للترويج للفكر الجهادي. ويعد هذا صحيحاً عن جبهة النصرة تحديداً؛ حيث إنه تم تصنيف ٣٥٪ من دعاية الجماعة على أنها تضيي على الجهاد نوعاً من المثالية (وقد يرتبط ذلك بتركيز جبهة النصرة على وضعها «كعنصر مظلوم»).

وهي تنتمي أيضًا لمثل الشهامة المذكورة في الجزء الخاص بالقيم بتركيزها على الشرف والتضامن، وربطها أيضًا بتفسير معنى «الماضي المجيد». ويمكن رؤية ذلك من خلال العناوين المستخدمة في الدعاية لدى جبهة النصرة مثل «ورثة المجد» أو الإشارة إلى صلاح الدين^(١). وبينما تعد الشجاعة في المعركة جزءًا من مثل الشهامة، ويظهر ذلك بوضوح من خلال الأهمية التي يولونها لفكرة الشهادة (كما أشرنا سابقًا)، فإن فكرة الرحمة التي ظهرت في ١٣٪ من المصادر التي تم تناولها تدخل أيضًا ضمن هذا السياق. ومن النتائج الجديرة بالاهتمام أن جبهة النصرة تولي اهتمامًا كبيرًا بفكرة الرحمة، مقارنةً بكل من داعش وتنظيم القاعدة بنسبة بلغت ٥٣٪ من إجمالي المصادر التي تشير إلى الفكرة؛ كما تناولها الجبهة بشكل أكبر من خلال علاقتها بأجزاء محددة، في حين تناولها كل من داعش وتنظيم القاعدة بشكل عام.

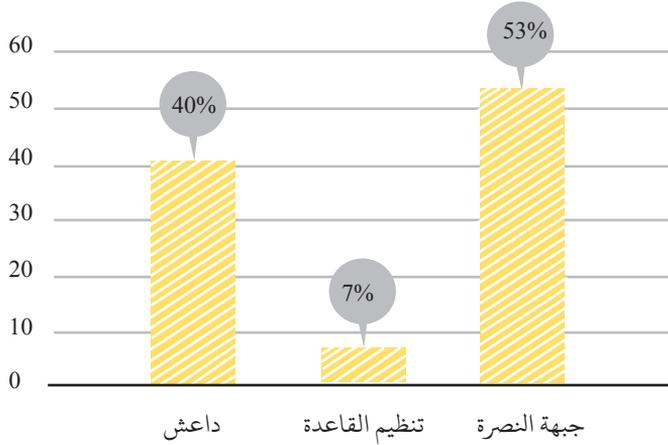


شكل ٤-٢: وجود فكرة الشهامة في الدعاية

ونسبة المصادر الخاصة بكل جماعة، التي تشير إلى هذا الموضوع.

(١) وُصف بـ«المسلم الحقيقي»، انظر:

Abu Sultan Al Jizrawi, “The Battle of Victory: Jisr al-Shughour: An Interview with Jabhat Al Nusra Military Commander – Abu Sultan al-Jizrawi”, *Al-Risalah*, no. 1 (July 2015): 9-10.



شكل ٤-٣: تفصيل فكرة الرحمة

ونسبة المصادر الخاصة بكل جماعة، التي تشير إلى هذا الموضوع.

ولكن فكرة الرحمة - حتى لدى جبهة النصرة - تقتصر دائماً على المسلمين فقط. يجعل استخدام الجماعات الثلاث الدائم لفكرة التكفير هذا التعريف محدوداً للغاية (مزيد عن التفاصيل حول مفهوم التكفير لاحقاً).

يعتمد مبدأ نُبل الجهاد بشكل كبير على إتاحتها: في حالة الدفاع عن الأمة أو في حالة الهجمات لتوسيع نطاق سيطرة الجماعة أو نشر الإسلام. وبين هذه الحالات كان الجهاد الدفاعي الأكثر انتشاراً، وتمت الإشارة إليه في ٣١٪ من المصادر التي تم تناولها، ويعكس ذلك ثانياً مثل الشهامة التي تنادي بنصرة المظلومين، والتي تم تناولها سابقاً في الجزء الخاص بالقيم، وكذلك الوظيفة السردية للتحليل الجغرافي - السياسي. ومن الواضح أنه بالنسبة إلى الموضوعات الثلاث، فإن تنظيم القاعدة يهتم بها بشكل أكبر ويليه داعش، في حين تأتي جبهة النصرة في آخر القائمة. ويتضح التركيز على الجهاد الدفاعي في عينات الدعاية محل الدراسة:

«من الواضح جلياً أن جميع الهجمات الجهادية على الغرب جاءت كرد فعل متأخر على الظلم الغربي الهائل الذي تعرض له المسلمون» (تنظيم القاعدة)^(١).

«ويا أهل السنة في العراق، أن لكم أن تتعلموا من دروس الماضي أن الروافض لا يجدي معهم إلا حز الغلاصم وضرب الرقاب، يتمسكون حتى يتمكنوا، يكتمون حقدهم على أهل السنة ويخفون غيظهم منهم وعداوتهم لهم، ويمكرون بهم، ويتآمرون عليهم، ويخادعونهم ويراوغونهم» (داعش)^(٢).

«لقد أخذ الغرب على عاتقه إحباط جهادكم على مدار ثلاث سنوات [...]، وبدأ في شن هجماته على أبناء جبهة النصره وعائلاتهم وأطفالهم ونسائهم وهدموا بيوتهم تماماً. لكم الله يا أهل الشام» (جبهة النصره)^(٣).

بينما تعد الإشارات إلى الجهاد الهجومي أقل بكثير، ولا يظهر أي منها في دعاية جبهة النصره التي تم تناولها في هذا البحث، ظهر القليل منها في دعاية داعش وتنظيم القاعدة (وذلك على الرغم من انقسام النتائج بينهما بشكل متكافئ). وقد يعكس ذلك أهدافاً سردية مختلفة لكل من الجماعات الثلاث؛ فبينما تكافح كل منهما بهدف تأسيس الخلافة (كما تبين سابقاً) تُركّز جبهة النصره بشكل أساسي على الحرب الأهلية السورية التي تأتي في إطار الجهاد الدفاعي. أما بالنسبة إلى كل من تنظيم القاعدة وداعش، فالأمر أكثر امتداداً وتوسعاً: «إنّ الإسلام دينُ القتال، وقد بُعث نبيُّكم بالسيف رحمةً للعالمين، وأمر بالقتال حتى يُعبد الله وحده» (داعش)^(٤).

المنهج النبوي

يتضح من خلال الإشارة السابقة إلى الجهاد الهجومي لدى داعش أهمية فهمهم للمنهج النبوي في تشكيل أيديولوجيات الجماعات محل الدراسة. وتعد رغبة الجهاديين في محاكاة النبي والمسلمين

(١) Abu Ziyad Al-Muhajir, "The Inevitable", *Inspire*, no. 11, *Who and Why?* (2013): 20-22.

(٢) «تسجيل للدولة الإسلامية -22/09/2014- "Midday News" YouTube, <https://www.youtube.com/watch?v=r1miXBRATjs>

(٣) «النص الكامل لكلمة الجولاني قائد جبهة النصره بعنوان (لأهل الوفاء يهون العطاء)».

(٤) "And Allah Is the Best of Plotters": 50-59.

الأوائل هي ما تجعل منهم «سلفيين». وأينما كانت الأيديولوجية محل اهتمام، فهي تُركز على ممارسات النبي وأصحابه فيما يتعلق بالجهاد؛ متى يكون مسموحًا وكيفية تنفيذه.

ويظهر «المنهج النبوي» من خلال الدعاية، وتم الإشارة إليها بشكل مباشر في ١٤٪ من المصادر. وتشير هذه الحالات إلى تأسيس الخلافة في ظل ما يُعرف بالمنهج النبوي ووقوع الأحداث التي تم التنبؤ بها في الأحاديث النبوية بعد إسقاط الحكام الطواغيت. فإنه بعيدًا عن تلك الإشارات، فإن محاكاة النبي تصبغ سلوكيات الجماعة وهويتهم الجماعية كأتباع للسلف الصالح (الأربعة أجيال الأوائل من المسلمين).

ويظهر هذا الاتجاه أيضًا في الجزء الخاص بالقيم. ودائمًا ما يُذكر النموذج النبوي على أنه أمر يجب محاكاته، وأن القيم الأخرى كافة تستند بدورها إلى ممارسات النبي. وقد يكون ذلك بشكل ما محاولةً لاستقاء الإلهام من «الماضي المجيد»؛ حيث إنها تواكب أهداف الحركة السلفية لإعادة الإسلام إلى أيام السلف. ولكنها تُشكّل أيضًا شيئًا أساسيًا من الجانب الديني لأيديولوجية السلفية الجهادية، كما يتضح من هذا البحث. ويعد النبي الصورة المجسدة للمسلم الأفضل، ومن ثمّ حتى يصبح المرء مسلمًا كما ينبغي أن يكون ولإعادة الإسلام إلى مجده، يجب محاكاة سلوكياته. وكما هو الحال مع بقية الأيديولوجية، فإن السلفيين الجهاديين يركزون بشكل خاص على الجهاد وأهدافه، ومن ثمّ يرتبط المنهج النبوي بشكل كبير لدى الجماعات الثلاث بفكرة تأسيس الخلافة أو الدولة الإسلامية: «أم أنكم ظننتم ومن والاكم أننا يوم أعلنها خلافةً على منهاج النبوة كنا مازحين؟!» (داعش)^(١). «إننا نسعى لإقامة إمارة إسلامية وفق السُنن الشرعية المعتمدة» (جبهة النصرة)^(٢).

(١) Umm Sumayyah Al Muhajirah, "Slave Girls or Prostitutes?" *Dabiq*, no. 9, *They Plot and Allah Plots* (١) (1436 AH): 44-49.

(٢) مؤيد باجس، «لم يهاجم تنظيم الدولة بشكل مباشر واكتفى بالإشارة للغلو: الجولاني في حوار: لدينا مفاجآت في لبنان (فيديو)»، عربي، ٢١/٢٤/٢٠١٤، <http://www.arb.im/story/786824> | الجولاني-في-حوار-لدينا-مفاجآت-في-لبنان-فيديو0.lastId=

تعريفات

الموضوعات الرمزية للسلوك

نُبل الجهاد

الشهامة: دائماً ما يتم وضع الصراع في إطار رومانسي ومثالي كوسيلة للترويج للأيدولوجية من خلال الإشارة إلى الماضي المجيد. ويتم الإشارة إليها بشكل ضمني أو مباشر في الدعاية من خلال صور الجهاديين على صهوة الخيول والإشارة إلى الأبطال والفرسان والأسود.

الرحمة: تعد الرحمة - والتي تتعارض مع التأكيد على فكرة الشجاعة في المعركة - امتداداً آخر لمفهوم نُبل الجهاد؛ إلا أن هذه «الرحمة» تقتصر على من تعتبرهم هذه الجماعات من «المسلمين» فحسب.

الجهاد الهجومي: عادةً ما يتم تأطيره كمحاولة لنشر الإسلام على خطى الأيام الأولى للخلافة. ويعد نادر الوجود في الدعاية، كما أنه مُعايير للسرديات الدفاعية التي تستخدمها الجماعات الجهادية.

الجهاد الدفاعي: يعتمد نُبل الجهاد على مشروعيته. دائماً ما يُستخدم الدفاع عن الأمة مبرراً لأفعال العنف، مع الإيمان بأن الإسلام يتعرض للهجوم طوال الوقت.

المنهج النبوي

المنهج النبوي: تُشير هذه العبارة عند استخدامها في الدعاية إلى الحديث، وتتنبأ بأن عقب أجيال من الحكم الظالم، ستعود الخلافة للعمل وفق «المنهج النبوي». كذلك توجد رغبة سلفية لمحاكاة النبي في كل تصرفاته فعلياً.

إذلال الأعداء

استهداف المدنيين: من أكثر الموضوعات المثيرة للخلاف بين الجماعات الجهادية، والتي تستند إلى إيجاد عامل للخوف في صفوف «العدو الأقصى». ودائماً ما يأتي في إطار تشجيع هجمات «الجهاد المنفردة» في الغرب.

إذلال العدو: هو الاعتقاد بأن تحرير الأمة من إذلالها سيؤدي بدوره إلى إذلال أعدائها.

«إن الجهاد الفردي الذي قام به الأخوان تامرلان جوهر- بارك الله فيهما - في بوسطن قد أروع وأرهب أعداء الله، وهو عمل يصعب السيطرة عليه. وهذا رد فعل طبيعي بسبب غطرسة هُبل العصر أمريكا وتكبرها وتعيديها على بلاد المسلمين ورفضهم لدعوة الشيخ أسامة - رحمه الله - إلى الصلح فلم يقبلوا أي صلح أو هدنة، وأفسدوا في الأرض وأكثروا فيها الفساد؛ فقتلوا النساء والأطفال دون رحمة عبر قصفهم بالطائرات على الآمنين ونهبهم لثروات المسلمين وتعنتهم ورفضهم الخروج من بلاد المسلمين. وهذا هو عين فعل أبي بصير عندما تعنتت قريش في شروطها فكان هذا الفعل معهم من باب أولى، كما جاء في السيرة النبوية الشريفة فخرج إلى ساحل البحر وقطع الطريق على الكافرين؛ مما كان له الأثر في التنازل عن شرطهم الذي وضعوه» (تنظيم القاعدة)^(١).

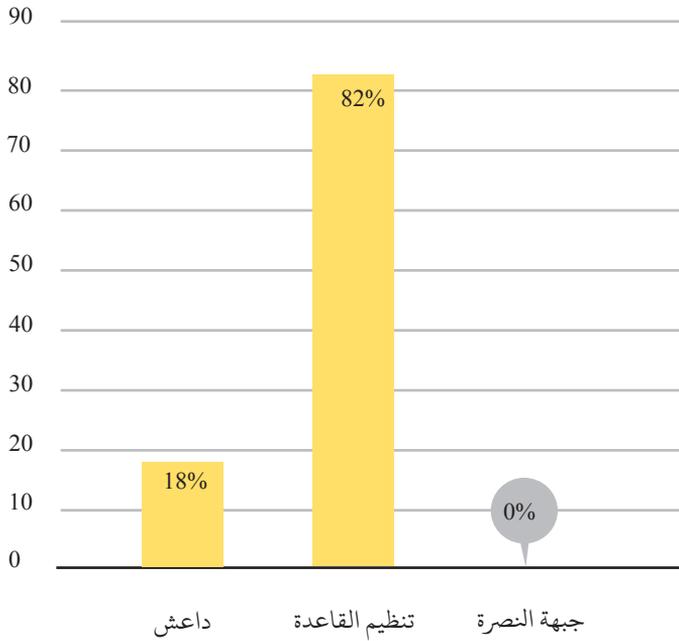
إذلال الأعداء

يُؤدي التركيز على الجهاد الذي يسود الأيديولوجية، وكذلك هدف إنهاء إذلال الأمة والتأكيد على أن الله حليفهم، إلى الترويج لفكرة أن السلوك سيؤدي إلى إذلال الأعداء. لكن من الجدير بالذكر أنه من ضمن جميع الموضوعات الأيديولوجية التي تمت تغطيتها حتى الآن (في مقابل تلك التي تُركّز على السرد)، تعد المرتبطة بإذلال العدو هي الأكثر إثارة للجدل والانقسامات. ولم تشر أي من مصادر جبهة النصرة التي تم دراستها في هذه العينة إلى إذلال العدو، ولكن تشارك كل من داعش وتنظيم القاعدة في الإشارة إلى هذا الموضوع بشكل متساوٍ. وتُمثّل الإشارات إلى إذلال العدو ١١٪ من العينة بأكملها.

وعلى الرغم من أنها تلائم السياق الأكبر للترويج للسلوك الذي سيؤدي إلى إذلال العدو، يظهر أحد الموضوعات في تعارض شديد مع مبدأ نُبل الجهاد ومُثل الشهامة؛ وهو مدى مشروعية استهداف المدنيين، الذي شكّل ١٥٪ من العينة، إلا أن أيًا من مصادر جبهة النصرة المذكورة في هذا البحث لم تشر إليه. ويتصدر تنظيم القاعدة هذه الفكرة؛ حيث مثلت مصادره التي تتناول هذا الموضوع ٨٢٪، وكانت البقية من نصيب داعش.

Ibrahim Al Banna, "Between Yesterday and Tomorrow", *Inspire*, no. 13, *Neurotmesis: Cutting the Nerves (1) and Isolating the Head* (2014): 32-33.

وترتبط مشروعية استهداف المدنيين بشكل وثيق بفكرة العدو الأدنى/الأقصى، التي تم تناولها في الجزء الخاص بالأهداف. وتأتي إشارات تنظيم القاعدة إلى استهداف المدنيين في سياق تشجيع هجمات «الجهاد المنفردة» على الغرب.



شكل ٤-٤: تفصيل فكرة استهداف المدنيين ونسبة المصادر الخاصة بكل جماعة، التي تشير إلى هذا الموضوع.

دراسة حالة الجهاد الدفاعي

«إنه لأمر طبيعي حقيقةً ألا يشعر أي مسلم صادق يعيش في الغرب بالأمن والراحة، في حين يرى البلد الذي يعيش فيه يغزو ويدمر ويذبح أمته المسلمة؛ ذلك أن المسلمين - أينما عاشوا - يبقى ولاؤهم الوحيد فقط للإسلام. فماذا يمكن للأنظمة الغربية أن تفعل حيال هذا؟! لا أعتقد أن بوسعها فعل أي شيء»^(١).

يشير الاقتباس أعلاه إلى السرد المستخدم لتبرير حركات الجهاد المعاصر كنوع من الدفاع. وتظهر الدعوة إلى الجهاد الدفاعي بشكل غزير من خلال الدعاية، وتتصادف مع تصوير معاناة واضطهاد المسلمين حول العالم الذي دائماً ما يُنسب إلى الغرب، سواء بشكل مباشر أو من خلال الأنظمة الفاسدة. وعادةً ما يتم تأطير الجهاد على أنه نوع من الثأر؛ حيث ذُكر في المقال نفسه: «من الواضح جلياً أن جميع الهجمات الجهادية على الغرب جاءت كرد فعل متأخر على الظلم الغربي الهائل الذي تعرض له المسلمون في القرن الأخير». وعادةً ما يشير تصوير المعاناة إلى الضعفاء: «يجب على الشعوب الغربية أن تعي أن هنالك الكثير من أمثال هذين الشابين اللذين قتلا الجندي البريطاني، وجميعهم يشاهدون غزو حكوماتهم لبلاد المسلمين واحتلالها وظلمها وعدوانها الذي لم يتوقف حتى الآن. أمثال هذين الشابين يرون رجالاً مسلمين خلف أسوار سجونكم، ويشاهدون نساء وأطفال المسلمين يُقتلون بأيديكم»^(٢). وفوق كل ذلك وبجانب تصوير المعاناة والخسارة، هناك إرشادات واضحة حول كيف ينبغي للمسلم ترشيده الأدلة وتحديد الأولويات: «إذا هاجمتم مسلماً واحداً فكأنما هاجمتم المسلمين جميعاً»^(٣).

(١) Al-Muhajir, "The Inevitable": 20-22.

(٢) Muhammad As-San'ani, "The Dear Price and the Constant Turmoil", *Inspire*, no. 11, *Who and Why?* (2013): 25.

(٣) المرجع السابق.

«فهذا ظلم للمسلمين، ومقتضى العقل السليم أنه يقف مع المظلوم حتى يأخذ حقه ممن ظلمه؛ لأن هذا هو العدل، والعقل السليم يؤيد العدل»^(١).

وهذا هو المنطق الذي تستخدمه الجماعات الجهادية لتبرير استهداف المدنيين، ويعد أيضًا أحد أهم محاور الدعاية؛ ويتم تصميمه لتشجيع المسلمين على المشاركة في الجهاد: «لم يكن المسلمون من زوجا بالمدنيين في هذه الحرب، بل كان الأمريكيون هم من قاموا بذلك وعلى نطاق مختلف عنا. فلقد قتلوا ملايين المسلمين المدنيين بدم بارد أثناء الحظر المفروض على العراق قبل أحداث ٩/١١»^(٢).

ودائمًا ما يتم تأطير الجهاد كواجب على كل أفراد الأمة القادرين: «إن كنت مخلصًا وتفكر مليًا حول ما تمر به الأمة وما يمر به أشقاؤك في كافة الأقطار الإسلامية، فسوف تدرك بإذن الله أنه فرض عين يجبرك على الدفاع عنهم ومحاولة تخليص الأمة من وضعها الحالي. فما الذي يبعدك عن بقية الأمة؟!»^(٣).

ترجع أصول الجهاد «الدفاعي» في الأيديولوجية إلى مفاهيم مثل القصاص؛ وهو مفهوم متأصل في الفقه الإسلامي بحيث تسمح الشريعة بالانتقام المتكافئ كعقاب. ويتضح ذلك من خلال مقولة أسامة بن لادن، التي يتم اقتباسها دائمًا «كما تقتلون ستقتلون».

وفي هذا السياق يتم الاهتمام بسرد يخدم تشكيل «عامل الخوف». وكما ظهر كثيرًا من خلال هذا البحث في القيم والأهداف والسلوكيات والهويات الجماعية المشتركة بين الجماعات الثلاث، لا تختلف أهداف تنظيم القاعدة كثيرًا عن أهداف جبهة النصرة وداعش، ولكن هناك بعض اختلاف في الاستراتيجية البلاغية التي تتبعها الجماعة؛ حيث يأتي التركيز على العدو الأقصى كمحاولة لتشكيل «عامل الخوف» وتدمير أنظمة الاقتصاد وخلق ضغط على الحكومات لتغيير

(١) Abu Mus'ab Al-Awlaki, "Why Did I Choose Al Qaeda?" *Inspire*, no. 11, *Who and Why?* (2013): 27.

(٢) Anwar Al-Awlaki, "Q & A with Sheikh Anwar Al-Awlaki", *Inspire*, no. 12, *Shattered: A Story about Change* (2014): 16-18.

(٣) Al-Uruppi, "Sincere Advice from a Muhajir": 15.

سياساتها: «وكانت نهاية هذه الحملة الصليبية للأمريكان الوبال والحسران والكساد الاقتصادي وذهاب الريح وفقدان الهيبة العسكرية»^(١).

ويتناسب ذلك مع سرد توجيه الخطاب إلى العدو مباشرةً من خلال العنف (المتعمد لإحداث استجابة)، وشفهياً من خلال الدعاية. وهو يستهدف أيضاً تعاطف جمهور الدعاية. ويرتبط كذلك بهدف كل من داعش وتنظيم القاعدة في التأكيد على إذلال العدو لبناء نوع من القوة داخل جماعاتهم. ويظهر ذلك الاهتمام من خلال الاستخدام المتكرر للشعر؛ نوع الدعاية التي نادراً ما يقرأها العدو:

شَرِيْعَتُنَا الْمَنَارَةُ وَالْمِثَالُ وَمَشْكَأَةُ الْهَيْدَايَةِ وَالْكَمَالُ
هِيَ الْحَقُّ الَّذِي زَهَقَ الدِّيَاجِي وَبَاءَ بِخِرْزِيهِ الْكُفْرُ الْمُدَالُ
فَفِسْطَاطُ بَهَا الْإِيْمَانُ يعلو وَفِسْطَاطُ بِهِ هَاجَ الصَّلَالُ (داعش)^(٢)

وبالرغم من أنه يمكن تحديد التصرفات اليومية للجماعة بشكل أكبر من خلال الاهتمامات الاستراتيجية أو التكتيكية، فإن كلاً منها سيقع في ظل السياق الأكثر اتساعاً للأيديولوجية الجهادية. وكما يتضح من الأدلة، فإن الأيديولوجية تهتم بشكل أساسي بالسلوك.

وقد تجد الروايات المضادة التي تسعى إلى التقليل من شأن هذه الأيديولوجية ثغرات في تناقضاتها ذاتها. فيبدو التأكيد على نُبل الجهاد متعارضاً مع استهداف المدنيين أو اقتصار الرحمة على من يرغبون في «التوبة». ويمكن أيضاً في هذا السياق استغلال الانقسامات بين الجماعات التي تتضح جلياً فيما يتعلق بالسلوك وإذلال العدو؛ وأبدت جبهة النصرة اهتماماً أقل بهما مقارنةً بكل من داعش وتنظيم القاعدة.

ويمكن أيضاً تناول التناقض في المراجع التاريخية والطريقة التي يتم من خلالها رسم الشخصيات التاريخية، مثل التأكيد على رحمة صلاح الدين وتجنبه لقتل ريتشارد قلب الأسد بدلاً من استخدام شخصيته وحدها لإظهار الشجاعة والشرف العسكري.

(١) Abu Baseer, "The Glad Tidings of Victory": 22-24.

(٢) «||مؤسسة أجناد للإنتاج الإعلامي || نشيد صوتي || شريعتنا»، Internet Archive, <https://archive.org/details/shri3atuna>

الهوية الجماعية

بعيداً عن قيم وسلوك وأهداف الفكر الجهادي، تأتي الهوية الجماعية لمن يؤمنون بأنهم يجاهدون نيابةً عن المجتمع الإسلامي في شتى أنحاء العالم، ولكنها تمثل حلقة الوصل بينهم جميعاً. تتميز حركة السلفية الجهادية بثقافة متفردة تشمل القصائد والأيقونات والأناشيد وتميزها كذلك عن بقية الجماعات؛ وهي الثقافة التي تناولها بالدراسة التفصيلية العديد من المحللين مثل توماس هيجهامير^(١).

وتبدو بعض سمات الجماعة في تنافس بعضها مع بعض، خاصةً عند تحديد من هم حلفاء الله والمقهورون في الوقت ذاته، في ظل هذا الصراع، ولكن فعلياً يتم تشكيل مزيج دقيق يتم من خلاله ترسيخ الجوانب الملموسة والمعتادة للأيديولوجية الجهادية.

يتناول هذا الجزء كيفية تشكيل الجماعات وأعضائها وما يربط الحركة السلفية الجهادية بعضها ببعض على الرغم من الخلافات السردية والتكتيكية بين الجهاديين، وكذلك ما يميزها عن الجماعات الأخرى وما تتضمنه علاقتها بـ«الآخر»، سواء كان فاعلاً في النظام الجغرافي - السياسي أو منافساً طائفيًا.

الأمّة

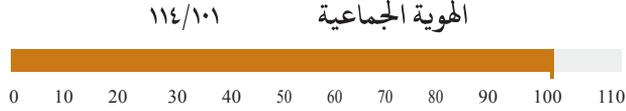
«قم بمسئولياتك، ودافع عن دينك» (تنظيم القاعدة)^(٢).

يستند أحد أهم الجوانب التي يُشار إليها بكثرة في موضوعات الدعاية إلى المفهوم الإسلامي الخاص بالمجتمع الديني العالمي. وكجزء من الأمة العالمية يشارك المقاتلون في الجهاد من منطلق الواجب الديني للدفاع عن حياة المسلمين وشرفهم، وللقتال لأجل المظلومين من أبناء الدين الواحد حول العالم. وتُصور الدعاية الجماعات الجهادية كطليعة الأمة؛ الأمر الذي يتطلب الولاء والدعم من قبل المجتمع الإسلامي العالمي.

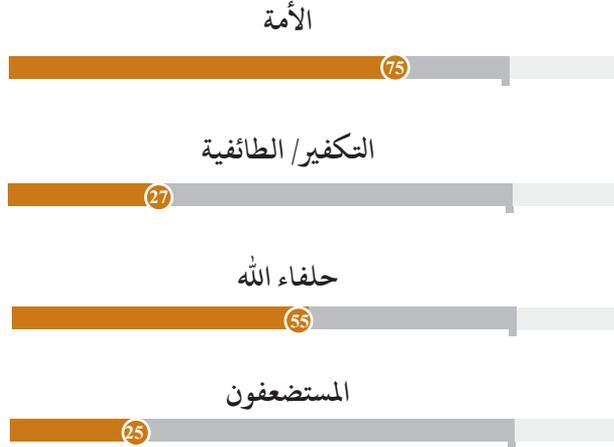
(١) Thomas Hegghammer, "Why Terrorists Weep: The Socio-Cultural Practices of Jihadi Militants", (١) Thomas Hegghammer, http://hegghammer.com/_files/Hegghammer_-_Wilkinson_Memorial_Lecture.pdf

(٢) Qassim Ar-Reimy, "Message to the American Nation", *Inspire*, no. 11, *Who and Why?* (2013): 8-9. (٢)

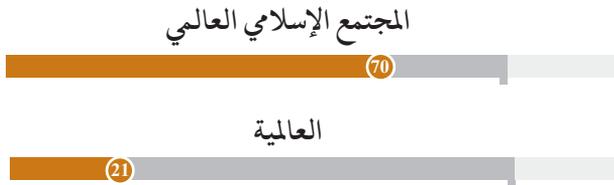
الصورة الشاملة



تصنيفات الهوية الجماعية



الموضوعات المتعلقة بالأمة



الموضوعات المتعلقة بالتكفير/ الطائفية*

التكفير/ الطائفية*

27

الموضوعات المتعلقة بمحلفاء الله

الدعم الإلهي

38

العوامل الجغرافية - السياسية

29

الموضوعات المتعلقة بالمستضعفين

المستضعفون*

25

* يشمل الموضوع الفئات كافة.

شكل ٥-١: تفصيل فكرة الهوية الجماعية،
من خلال عدد المصادر التي يظهر فيها هذا الموضوع بشكل مباشر.

يُحفز الصراع نيابةً عن الأمة السردية العالمية للدفاع عن الإسلام في الحرب الدائرة ضد العقيدة نفسها، في مواقع الصراع المترامية من العراق وسوريا إلى اليمن وإسرائيل وميانمار. ومفهوم الأمة يُمثّل أداة قوية لاستقطاب وجذب العناصر الجهادية، ويوجد هوية دينية تتجاوز الثقافة والجنسية بما يتيح للمتعاطفين في جنوب وجنوب شرق آسيا ومجتمعات الشتات التعبير عن تضامنهم وولائهم للصراع العالمي ضد القمع وإعادة تأسيس الحكم الإسلامي المتجاوز لحدود القومية تحت ظل الخلافة. فبالنسبة إلى أغلب المسلمين، يُمثّل هذا المفهوم الذاتي الجهادي قدرًا كبيرًا من التنافر المعرفي؛ حيث إن الحركة تدّعي أنها تناضل نيابةً عن الأمة، في حين إنها في الواقع تدمر أهم المواقع والأضرحة وأكثرها قداسة، وتشهر بالمسلمين حول العالم عن طريق الادعاء بأنهم يفعلون كل هذا باسم الإسلام.

ويعد مفهوم الأمة من أهم جوانب الهوية الجماعية الجهادية؛ حيث تمت الإشارة إليه مرتين في الدعاية كأى موضوع آخر متعلق بالهوية. وإجمالاً يشير ٦١٪ من الدعاية التي تم تناولها إلى الأمة لدى الجماعات الثلاث.

وتؤكد الجماعات الثلاث تحديداً على أهمية المجاهدين في الدفاع عن الأمة. ويجدر القول بأن العديد من الإشارات الداعشية تتناول بشكلٍ واضح هدف توحيد الأمة؛ الأمر الذي يتطلب تدمير الدول القومية الوثنية بدلاً من التركيز عليه كجانب للهوية الجماعية. ويوضح حجم الإشارات هذا إلى أي مدى تعمل هذه الجماعات مع مفهوم المجتمع الإسلامي الدولي. وعادةً ما كان يصاحب الإشارات إلى الأمة إشارات إلى «أهل السنة»؛ ذلك المصطلح ذو البعد السياسي، الذي سيتم تناوله بالتفصيل فيما يلي في الجزء الخاص بالتكفير والطائفية.

ينبثق مفهوم العالمية مباشرة من الاهتمام الأيديولوجي بعنصر الأمة؛ الأمر الذي يلقي الضوء بدوره على عنصر الجذب العالمي للجهادية، والذي يفسر أيضاً انتقال الجهاديين وأنصارهم ليكونوا جزءاً من صراعات تبدو غريبة في أراضٍ أجنبية.

ويعد عنصر العالمية من أقوى عناصر الحركة المرتبطة بهدف تأسيس دولة إسلامية للأمة في المجتمع العالمي، ويظهر في ١٨٪ من عينات الدعاية التي تناولناها. وتشير الجماعات الثلاث إلى عالمية طوائفهم؛ حيث تضمنت دعاية كل من داعش وتنظيم القاعدة وجبهة النصرة نسبة ٣٨٪ و ٢٩٪ و ٣٣٪ على التوالي من الإشارات التي تتناول هذا الموضوع.

تعريفات الموضوعات الرمزية للهوية الجماعية

الأمة

المجتمع الإسلامي العالمي: يشير إلى المجتمع الإسلامي حول العالم، الذي تدّعي الجماعات الجهادية أنها تمثله في صراعها.

العالمية: ترتبط بتحقيق هدف تأسيس دولة إسلامية للأمة حول العالم ونبذ القومية. وتعد داعماً أيديولوجياً لعنصر الجذب العالمي للسلفية الجهادية.

التكفير/ الطائفية

التكفير/ الطائفية: خطاب يهتم بما يعنيه أن تكون «مسلمًا» مقابل «مرتدًا»، وعادةً ما يُوظف لاستخدام العنف ضد المسلمين الشيعة الذين يتهمون بالانحراف، وكذلك ضد قادة أغلب الدول الإسلامية، الذين لا يعدونهم مسلمين بدرجة كافية.

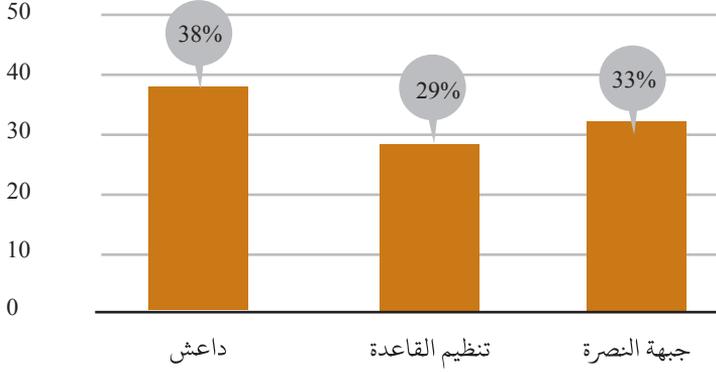
حلفاء الله

الدعم الإلهي: يوجد التفضيل الإلهي عدسة تفسيرية واضحة لكل من الانتصارات والهزائم في عيون الجهاديين، ويُوقَّر في الوقت ذاته مصدرًا للأمل ووسيلة للشكر على الرحمة الإلهية.

العوامل الجغرافية - السياسية: السرد المُصاغ في إطار دفاعي في المقام الأول، وعادةً ما يستخدم الجهاديون رؤية عالمية تهدف إلى تحقير الإسلام، ومن ثمّ تقتضي مكافحتها.

المستضعفون

المستضعفون: للوهلة الأولى يبدو هذا مُغايِّرًا للاعتقاد بأن مهمة المرء مُقدرة إلهيًا، إلا أن هذا التأكيد على السمة الماثلة للصراع بين داوود وجالوت يعد مدعاة للفخر لا مثيِّرًا للشفقة على الذات، وعادةً ما يصاحبه خطاب للتباهي والانتصار في الصراع رغم كل شيء.



شكل ٥-٢: تفصيل العالمية

ونسبة المصادر الكلية في الموضوعات الرمزية وفقاً لكل جماعة.

وعلى الرغم من كونها لا تعد جزءاً من الدعاية الرسمية، فإن هذا الاهتمام بمفهوم العالمية يتضح جلياً من حسابات تويتر التابعة لداعش التي أدانت التفرة العنصرية بالولايات المتحدة الأمريكية خلال مظاهرات فيرجسون في أغسطس عام ٢٠١٤، وقالت بأن جميع العرقيات والجنسيات ستمتتع بالمساواة في ظل دولة «الخلافة» الخاصة بهم. وبالإضافة إلى كونه عملاً إبداعياً في مجال العلاقات العامة، يُظهر الخطاب خطاً من الدفاع عن الاتهامات بالتعالى العربى في كل من جبهة النصرة وداعش وتنظيم القاعدة؛ حيث ذكرت بعض التقارير أنه تم رفض إسناد بعض المهام الرئيسية في الصراع إلى المقاتلين الهنود^(١).

وتستخدم داعش على وجه الخصوص هذا الجانب العابر للمحيطات لتجنيد عدد أكبر من الدول الغربية للانضمام إلى القضية وتدعوهم بـ«الإخوة في العقيدة»، في حين ترى جبهة النصرة أن معركتها بسوريا جزء من حركة أكبر؛ أما تنظيم القاعدة الذي لا يزال يعتمد على عدد أقل من الأجانب في الجهاد، فلا يزال يؤكد على الطبيعة الدولية للصراع: «إلى إخواننا وأخواتنا في الغرب... ابتهجوا فنحن لم نهزم بعد. فلا تزال الفرصة سانحة أمامكم للمشاركة في الجهاد بأموالكم» (جبهة النصرة)^(٢).

(١) "I Cleaned Toilets While in ISIS, Kalyan Youth Areeb Majeed Tells NIA", *Times of India*, (١) <http://timesofindia.indiatimes.com/india/I-cleaned-toilets-while-in-ISIS-Kalyan-youth-Areeb-Majeed-tells-NIA/articleshow/45328623.cms>

(٢) "Ramadan: The Month of Striving", *Al-Risalah*, no. 1 (July 2015): 19-20. (٢)

«أيها الموحدون في أوروبا وأمريكا وأستراليا وكندا... أيها الموحدون في المغرب والجزائر... أيها الموحدون في كل بقاع الأرض» (داعش)^(١).

«أيها المسلمون الأعزاء ألا ترون رايات لا إله إلا الله تزداد في شوارع أمتنا؟ إن الأمة تدعوكم... ألا تودون أن تكونوا جزءاً من الجيوش التي تعيد تأسيس الخلافة؟» (تنظيم القاعدة)^(٢).

التكفير/ الطائفية

من أهم العناصر اللازمة لبناء هوية وأيديولوجية الجماعات الجهادية تعريف أنفسهم ضد «الآخر»، وتحديدًا التعبير عما تعنيه كلمة «مسلم» في مقابل «مرتد». ويُستخدم فعل التكفير في الدعاية الجهادية بشكل عام لتبرير العنف ضد المسلمين الشيعة الذين يتحملون القدر الأكبر من الاتهامات بالانحراف، وكذلك قادة الدول ذات الأغلبية المسلمة، الذين لا يعدون على درجة كافية من الإسلام. ويُعد التكفير من أكثر الموضوعات المثيرة للجدل في الفقه الإسلامي، كما يعد الاتهام الخاطيء لأحد المسلمين بالردة من الكبائر.

تعد اللغة الطائفية أحد العناصر السائدة في دعاية الجماعات الثلاث؛ حيث تظهر في ٢٤٪ من مواد الدعاية التي تم تناوّلها. وحظيت كل من داعش وجبهة النصرة بنصيب الأسد من الإشارات التكفيرية والطائفية؛ حيث قدمت كل منهما نسبة ٣٥٪ و ٣٨٪ من الإشارات على التوالي، في حين تناولت ٦٪ فقط من دعاية تنظيم القاعدة إشارات للتكفير؛ وذلك على الرغم من أنه يمكن القول بأن هيمنة الحوثيين بشكل متزايد في اليمن قد تسبب زيادتها. ويتعارض نصيب جبهة النصرة في هذا السياق مع القدر الوافر من السرديات «الرحيمة» التي تتداولها الجماعة خاصةً تجاه الأقليات الدينية.

وهناك خلاف استراتيجي واضح بين تطبيق الأساليب الطائفية السائدة لدى كل من القاعدة وداعش ومن سبقوهما من جماعات. وكان هذا أحد أهم العوامل التي أدت إلى انفصال الحركتين

(١) «تسجيل للدولة الإسلامية - 22/09/2014. Midday News.

(٢) Al-Uruppi, "Sincere Advice from a Muhajir": 15.

عند دخول داعش سوريا عام ٢٠١٣. وفي واقع الأمر قد ذهبت داعش إلى حد اتهام بعض الجماعات الجهادية الأخرى بالإرهاب؛ أي كونها غير حاسمة بما فيه الكفاية في تحديدها لماهية المسلم.

إلا أن هذا البحث يقترح أن الفرق بين اللغة الطائفية في الدعاية لا يُمثل انقسامًا أيديولوجيًا بين الجماعات المختلفة، ولكنه يُمثل انقسامًا سرديًا؛ فنجد مثلًا أن القاعدة بقيادة أيمن الظواهري تهتم كثيرًا بكسب دعم الرأي العام، خاصة أولئك الذين قد يمارسون أعمال عنف أوضح مقارنةً بأساليب داعش الأكثر حسماً. وهذه التصورات تعكس الثقافة الطائفية المتنامية في جميع أنحاء الشرق الأوسط. ففي استبيان أُجري عام ٢٠١٢ بخمس دول في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا أفاد ما يزيد على ٤٠٪ من المجيبين أن الشيعة ليسوا بمسلمين^(١).

حلفاء الله

دائمًا ما يرتبط الخطاب التكفيري في الدعاية بالإشارات لما يعرف بالتحالف «الصلبي الصهيونسي» الذي يهدف إلى إذلال وتحقير المسلمين السُّنة حول العالم. ويجسد هذا مثالًا آخر على الخطوط الثنائية المرسومة في الدعاية، والمتمثلة في اللغة المصرية لمعارك نهاية الزمان.

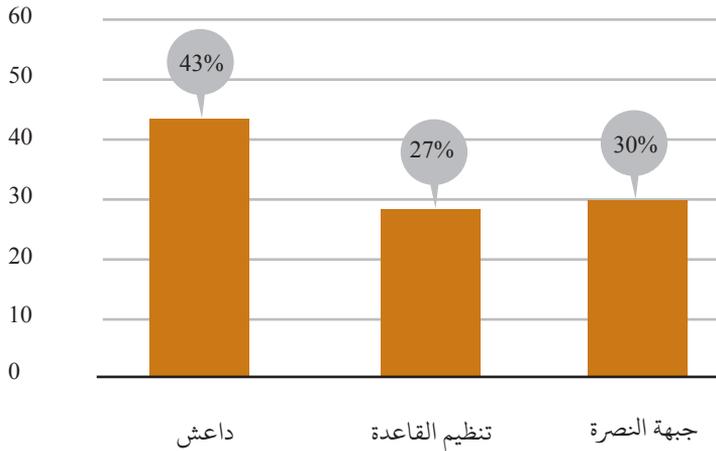
ويعد تعريف «الجهاديين» لأنفسهم بأنهم «حلفاء الله» على عكس أعدائه عنصرًا محددًا هامًا داخل الدعاية؛ حيث يظهر في ٣٣٪ من العينة التي تم تناولها بتركيز أكبر من داعش مقارنةً بجهة النصرة وتنظيم القاعدة اللتين تعدانه أمرًا هامشيًا. ويُقدّم هذا المفهوم تفسيرًا لكل من الانتصارات والهزائم في أعين المجاهدين. ويمدهم أيضًا في الوقت ذاته بمصدر للأمل والشكر على التدخل الإلهي.

ففي سياق هذا المفهوم الجهادي، ييسر الله الانتصارات ويختبر الإيمان، ولذا فهو دائمًا في صف المقاتل. فوجودك مع الفريق الفائز دائمًا، وإن أصابتك الهزيمة مرة، يؤكد على قيمة اليقين التي تعد أهم الجوانب الأيديولوجية للجهاد، وتجعل من الصعب تفكيك سرديات الحركات الجهادية دون الوقوع في فخ الانقسام الثنائي الذي يشكلهم.

(١) Bell et al., *The World's Muslims*: 9.

وتقدّم جميع الجماعات إشارات في دعايتها توجي بولائها لله. ويعد هذا انقسامًا حيث هناك تعبيرات تؤكد على الولاء لله وأخرى على الولاء بعيدًا عن الله؛ أي إن بعض الإشارات تشير بشكل مباشر إلى ولاء المقاتلين لله، في حين تركز الأخرى على فكرة أن الله يبسر لهم النصر ومن ثمّ فهو جزء من الصراع. ويرتبط تحديد الأعداء كمعارضين لله بشكل وثيق بسرديّة وظيفيّة التعليق الجغرافي - السياسي، والتواصل مع نظام عالمي يسعى بشكل مباشر إلى تحقير الإسلام. ويتم تأطير هذا السرد في سياق دفاعي؛ فالإشارات التي تحت على الجهاد الدفاعي عادةً ما تكون مرتبطة بالتعليق الجغرافي - السياسي في الدعاية.

وكنوع من السرد يظهر التعليق الجغرافي - السياسي في ريع الدعاية التي تناولناها، على الرغم من أنها ليست موزعة بشكل متكافئ. وكان لتنظيم القاعدة بشبه الجزيرة نصيب الأسد في تغطية الموضوع؛ حيث بلغت تغطيته ضعف ما قدمته داعش، في حين أشارت جبهة النصرة إلى الأحداث العالمية في ٨٪ من إصداراتها.



شكل ٥-٣: وجود حلفاء الله في الدعاية ونسبة المصادر التي تشير إلى الموضوع لدى كل جماعة.

المستضعفون

من أكثر النتائج المثيرة للاهتمام في هذا البحث سيادة روح المستضعفين كأحد أهم العناصر الأساسية المحددة للجماعات؛ وهي ظاهرة تبدو للوهلة الأولى متناقضة مع الحركة التي تؤمن بأن لديها مهمة مقدسة مُنزلة من السماء. ويحمل هذا النوع من السرد صفات الكبرياء أكثر من الشفقة؛ ولذلك فهو عادة ما يصاحبه خطاب بلاغي يحث على التشجيع والنضال المنتصر ضد هذه المتناقضات. وفي هذا السياق يرتبط ذلك المحدد الرئيسي للجماعة بالقيمة الأيديولوجية لنصرة المظلومين.

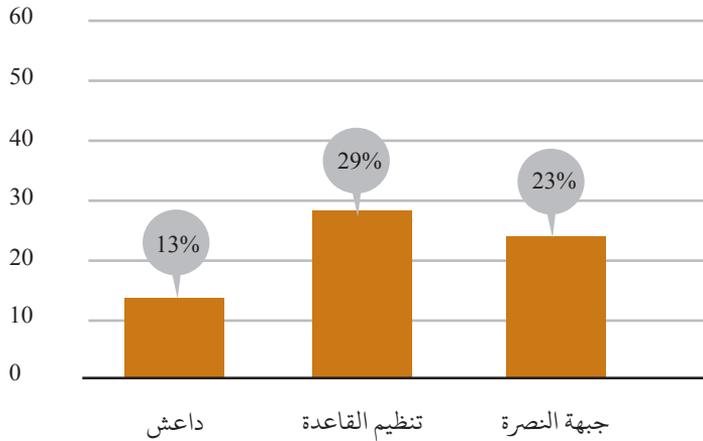
وترتبط فكرة المستضعفين بالأجزاء الموجودة في مادة الدعاية التي تدعو أو تشير إلى كون الفرد أو الكيان الجهادي في موقف ضعف ضد أسلحة العدو وقوته، ولكنه يستطيع التغلب عليهم على الرغم من الموارد الضئيلة أو العدد المحدود للمقاتلين. وترتبط هذه السردية بالعديد من القيم الهامة للأيديولوجية الجهادية، ودائمًا ما تصادف السخرية من الأعداء وفكرة إسناد النصر إلى الله، في حين تحمل دلائل هامة حول السلوك الجهادي؛ ممثلة القيم النبيلة والعظيمة بجانب صورة رومانسية لشخصيات تشبه روبن هود بدهائه وفطنته: «الولايات المتحدة ليست بقوة أسطورية... فلقد تمت هزيمتها في العراق ثم أفغانستان على يد المجاهدين البسطاء الذين لا يملكون سوى البنادق والهراوات» (تنظيم القاعدة)^(١).

ويمتلك تنظيم القاعدة نصيب الأسد من الإشارات إلى المستضعفين بنسبة بلغت ٢٩٪ في الدعاية. ويرجع أحد أسباب ذلك إلى الحاجة الماسة إلى جمع التمويلات. فالتفاخر بالأسلحة المتقدمة بالقواعد العسكرية لن يكون مجدياً في سياق جذب المتبرعين مقارنةً بتحقيق الانتصارات باستخدام «البنادق البسيطة»^(٢)؛ أما جبهة النصرة فتظهر هذا الميل إلى المستضعفين في ٢٣٪ من موادها الدعائية، في حين لم تتجاوز نسبة الإشارة إلى المستضعفين في دعاية داعش ١٣٪. وقد يرجع ذلك إلى أن داعش ترى أن هذا النوع من السرد قد يقلل من شرعية دولة «الخلافة»؛ لأنها تستخدم الدعاية لتقديم صورة عن الدولة القائمة بالفعل.

(١) Aiman Adh-Dhawahiriy "Iman Defeats Arrogance", *Inspire*, no. 12, *Shattered: A Story about Change* (2014): 11-12.

(٢) Abu Sahl Al Ansari, "Everlasting Reward: Shahada Series", *Al-Risalah*, no. 1 (July 2015): 41-42.

وتعد عوامل الهوية الجماعية دورًا هامًا كجزء من الدعاية الجهادية، مثلها مثل القيم الأساسية للسلوك؛ مما يضيف نوعًا من الاتساق للأيديولوجية، كما تساعد على تفسير تصرفات من خارج سياق الجماعة. إن تبني المحددات التي تُفسّر كلاً من الانتصارات والصراعات في إطار الفضل الإلهي تتيح للجهاديين تأكيد يقينهم في المبررات الثنائية لصراعاتهم العنيفة.



شكل ٥-٤: وجود المستضعفين في الدعاية ونسبة المصادر التي تشير إلى الموضوع لدى كل جماعة.

ويعد استخدام الهوية الجماعية أسلوبًا جيدًا تتبعه السرديات المضادة أيضًا. فالطبيعة الانتقائية للجماعة في الأيديولوجية السلفية الجهادية تُقصي أغلب المسلمين حول العالم. وإن تم تطبيقها بشكل متسق، فإنها قد تُقصي المسلمين عبر التاريخ، بمن في ذلك أمثال الناصر صلاح الدين الذي دائمًا ما تُشيد به الدعاية. يجب إذًا استغلال هذه التناقضات من قبل أولئك الذين يرغبون في تقليل قدرة هذه الأيديولوجية على الجذب.

دراسة حالة الأقليات الدينية

أصبحت الحركة الجهادية العالمية ساحة للتنافس مع وجود دليل على العلاقات المتوترة بين الجماعات والهيئات التي تعمل في ساحات قتال مشتركة. وأسهم ارتباط جبهة النصرة بالقاعدة في اتساع الفجوة بينها وبين داعش، واهتمت كل من الجماعتين بتحقيق شأن الأخرى في دعايتها. وفي جهد من ناحيتها لتبدو مميزة عن داعش وتجذب المزيد من الدعم الشعبي من الجماعات المتمردة في سوريا، سعت جبهة النصرة لجعل نفسها تبدو كأنها جماعة سلفية جهادية معتدلة ورحيمة تعمل في سوريا.

وفي حوار أجراه مع قناة الجزيرة في يونيو ٢٠١٥، أوضح قائد الجماعة أبو محمد الجولاني السمات الرحيمة للجماعة عندما ناقش قضية مجتمع الدروز والعلويين المنشقين. فقد ذكر «أنا سندافع عن [الجماعات العلوية المنشقة عن الأسد] كدفاعنا عن أنفسنا». ومن خلال تعبيره عن الرحمة وتضمين الأقليات في المدن المحررة، يهدف الجولاني إلى التفرقة بين الأسلوب الذي تتبعه جماعته وأسلوب داعش تجاه الدروز؛ حيث لا تعتقد أن عليهم دفع الجزية؛ على عكس المسيحيين؛ لأنهم لا يقتنعون أنهم من أهل الكتاب. ويستند هذا النقاش إلى تفسير ابن تيمية في مقال بعنوان «حلفاء القاعدة في الشام» في العدد العاشر من مجلة «دابق»، الذي انتقد جبهة النصرة وحلفاءها، وتناول الجدل الديني والتاريخي حول «المرتدين من الدروز».

ولكن أوجه التنافر في المواد الإعلامية الأخرى التي تستخدمها جبهة النصرة توجي بعدم الاتساق وقدر أقل من الاستيعاب لطوائف الأقليات وغير المسلمين. ويتضح من خلال العينة أن الكثير من الإشارات التي تستخدمها جبهة النصرة في الدعاية تحمل إيجاءات تكفيرية وطائفية قوية كما هو الحال مع داعش. وفي تصريح للجولاني في سبتمبر عام ٢٠١٤ بعنوان «لأهل الوفاء يهون العطاء» ظهر الخطاب الطائفي بقوة وكثافة. وبخلاف الصورة

التي رسمها أثناء حوار مع الجزيرة، أشار الجولاني إلى الشيعة بقوله: «لقد شرعوا في سن أسنانهم بعد تداعيات الأحداث الأخيرة. فهؤلاء الناس يرفضون المسلمين السنة ويعتبرونهم أول عدو لهم، ويسعون للتأثر ممن قتلوا الحسين سبط رسول الله منذ ألف وأربعمائة عام ويستندون في عقيدتهم إلى هذا الجانب».

ويعكس هذا التصريح لهجة الجولاني في عدد من الخطابات الأخرى، كما يعكس الأساليب المشابهة التي تستخدمها داعش لشيطنة وتهميش الأقليات الطائفية، ومن ثم يرسم صورة أقل اعتدالاً من تلك التي توحى بها إشارات الجماعة إلى الرحمة.

ويتضح أيضاً أن الكثير من الإشارات التي تقدمها كل من جبهة النصرة وتنظيم القاعدة بشبه الجزيرة وداعش لفكرة الرحمة تستند بشكل أساسي إلى مفهوم التوبة؛ أي أن الله لا يمنح الرحمة سوى في ظل شروط صارمة تشمل الرفض التام لأي انتماءات سابقة والالتزام مع الجماعة. وتظهر شروط منح الرحمة جلياً في حوار الجولاني مع الجزيرة، وفي الفيديو الذي نشرته داعش في إبريل ٢٠١٥، بعنوان «من الظلمات إلى النور»، والذي يظهر فيه المنشقون عن جبهة النصرة والحيش السوري الحر؛ وهم يتوبون ويبدلون ولاءهم لداعش. ويعد سرد جبهة النصرة للرحمة سرداً يسوده نفس القدر من عدم التسامح تجاه من يعدون «لا - مسلمين» كما يتضح من خلال الفيديوهات الوحشية لداعش.

النصوص القرآنية والأحاديث والعلوم الفقهية

يظهر من خلال هذا البحث كيفية انتقاء الجماعات الجهادية للنصوص الدينية من القرآن والأحاديث النبوية، واستخدامها للتأكيد على شرعية أفعالها، كما يدرُس كيف يستخدم الجهاديون العلوم الدينية في دعايتهم عندما تتماشى مع رؤيتهم الأيديولوجية أو رفضها تمامًا كـ«بدعة» دينية إن لم توافق أهواءهم.

كيف تستخدم الجماعات الجهادية النصوص القرآنية والأحاديث؟

كجزء من استكشاف المصادر المعرفية المستخدمة في الدعاية الجهادية، يجب دراسة كيف تقوم الجماعات السلفية الجهادية باستغلال النصوص القرآنية والأحاديث في محاولتهم لإضفاء نوع من الشرعية الدينية على أيديولوجياتهم.

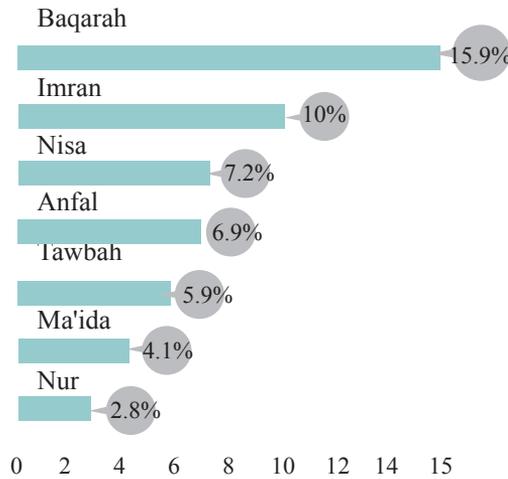
تشير النتائج التي توصلنا إليها إلى مركزية الإشارات إلى القرآن والحديث في جميع أنواع الدعاية، سواء كانت موجّهة خارجياً أو داخلياً، يعني أن النصوص القرآنية والأحاديث، والإشارة إلى مرجعية دينية، سيؤديان دوراً رئيسياً في دحض انتشار الأيديولوجية الجهادية. وعادةً ما يُنبذ استخدام الجماعات لمثل هذه النصوص لكونها نفعية أو غير ذات صلة، ولكن تجاهل سبل استناد السلفية الجهادية إلى النصوص القرآنية والأحاديث يجعل تفسير هذه النصوص عرضة للعناصر المتطرفة، ويحد من الدور الهام الذي يؤديه القادة الدينيون في مواجهة التطرف.

وعلى الرغم من أن استخدام النصوص القرآنية والأحاديث في الدعاية يمكن اعتباره وسيلة نفعية بحتة كاستعراض لنوع من التقوى الظاهرية كمبرر للممارسات الوحشية التي تنتهجها تلك الجماعات. فإن استخدام الجماعات للنصوص يوحي بأنه يتم استخدامها فعلياً لدعم الإطار الأيديولوجي بأكمله، ومن ثمّ، فهي تعد المرجعية الأولى التي يشار إليها عند مهاجمة هذه الجماعات وممارساتها. ووفقاً لأيديولوجية السلفية الجهادية، فإن ممارسات النبي وأصحابه تمثل النموذج الأفضل للممارسات الإسلامية. لذا ليس مفاجئاً أن يُعد كل من القرآن المنزل من الله

إلى النبي محمد، والحديث والسنة النبوية، المرجعية الأساسية لهذه الجماعات عند سعيها إلى إيجاد مبرر شرعي لأفعالها.

النصوص القرآنية والأحاديث

تُمثّل نسبة الآيات القرآنية المستخدمة ٥٠٪ من مواد الدعاية. وقد كان هذا النطاق الواسع من المرجعية القرآنية هو أولى النتائج الملحوظة؛ إذ تم استخدام ٦٣ سورة من إجمالي ١١٤؛ هي عدد سور القرآن الكريم، في العينة محل الدراسة. وقد يزداد هذا الرقم عند استخدام عينة دراسة أكبر.



سورة البقرة	١٥,٩٪
سورة آل عمران	١٠٪
سورة النساء	٧,٢٪
سورة الأنفال	٦,٩٪
سورة التوبة	٥,٩٪
سورة المائدة	٤,١٪
سورة النور	٢,٨٪

شكل ٦-١: السور السبع الأكثر استخدامًا والنسبة المئوية لإجمالي المصادر التي استخدمت كل سورة.

وكما يتضح من الشكل (٦-١) فإن سورة البقرة تُعد الأكثر اقتباسًا في الدعاية. إلا أن هذه الاقتباسات لم تزد في مجموعها على ٤٦ اقتباسًا لُتمثل ١٦٪ من مجموع مادة الدعاية. ويوضح ذلك استخدام واسع وانتقائي جدًا للقرآن في الدعاية الجهادية. ومن المعتاد عند استخدام القرآن لدعم أفكار معينة أن يتم اقتباس آيات عدة من سور القرآن الكريم في المادة الدعائية.

ويمكن القول بأن الاقتباسات القرآنية المتعددة قد تم استخدامها في كل مصدر أكثر من أدبيات الحديث الشريف للتأكيد على شرعية التصريحات. فنجد أن بالمصادر التي استخدمت القرآن أو الحديث متوسطًا بلغ ٥,١ من الإشارات القرآنية لكل مصدر، مقابل ٣,١ من الإشارات الحديثية.

وتُظهر داعش استخدامًا واسعًا للنصوص المقدسة في الدعاية بشكل عام. ونجد أن الإشارات القرآنية تظهر بنسبة عالية في الدعاية المكتوبة، ولكن من المثير للدهشة أيضًا أنها تظهر بشكل شامل في التصريحات الشفهية. وفي الواقع، فإن الكثير من تصريحات داعش تزخر بالإشارات القرآنية لدرجة تجعلها أشبه بالخطب الدينية. ويظهر ذلك جليًا في التصريح الذي أدلى به أبو محمد العدناني؛ المتحدث باسم داعش، في يونية عام ٢٠١٤، وجاء تحت عنوان «هذا وعد الله»؛ حيث تضمن ٢٤ إشارة قرآنية شكّلت في حد ذاتها ٢٦٪ من التصريح بأكمله. وجاءت هذه الإشارات الأربع والعشرون من ١٣ سورة من سور القرآن الكريم، تراوحت ما بين البقرة والمنافقون. وكانت أغلب الاقتباسات من سورة آل عمران؛ حيث تم اقتباسها ست مرات في التصريح، وأعقبها مباشرة في الترتيب سورة النور التي تم اقتباسها خمس مرات.

ويدشّر استخدام الآيات القرآنية على نطاق واسع إلى نمط يظهر في دعاية الجماعات الثلاث؛ حيث تشير النتائج إلى أنه بالرغم من حرص مسؤولي الدعاية على عدم استخدام النصوص الدينية في سياق معين وتجاهلهم لأي نوع من المعرفة يتعارض مع منظومة معتقداتهم، فإن اقتباساتهم تأتي من مصادر عدة ومتنوعة؛ بما يشير إلى أنهم يؤمنون بأهمية النقل من مصادر عدة للتأكيد على شرعية أيديولوجياتهم.

إلا أن هذا الرفض المتعمد من قبل الجهاديين لأجزاء من النصوص القرآنية التي تُمثل إشكالية لأيديولوجياتهم يتناقض بشكل كبير مع فكرة التفسير التي سادت في الإسلام لقرون، وتعني أنه

حتى يتسنى لنا إصدار حكم ديني، يجب مراجعة أي نص قرآني يمكن قراءته كاستثناء أو تناقض. ووفقاً للتفسيرات السلفية المتشددة، فالاحتكام إلى هذا النوع من التفسيرات ليس ذا أهمية لأنه يعد بدعة؛ الأمر الذي يتناقض من وجهة نظرهم مع فكرة التوحيد (إلا أننا سوف نرى لاحقاً كيف تشير الجماعات الجهادية للفقهاء والتفسير عندما تتواكب مع إطارهم الأيديولوجي). وهذا له آثار كبيرة في الاستجابة للأيديولوجية الجهادية؛ حيث إنه يشير إلى أن الروايات المضادة بحاجة دائماً إلى أن تكون جزءاً من نقاش ديني، يضع النص القرآني في سياق أوضح مما يقوم به مسئولو الدعاية والمنظرون الجهاديون.

وتقول الحكمة المكتسبة إن الجماعات الجهادية تنتقي الأحاديث التي تُؤكِّد الطبيعة الحتمية لمشروعهم مع وجود بعض الإشارات المبهمة للمعارك الكبرى وقرب نهاية الزمان. إلا أن أغلبية الأحاديث المشار إليها في الدعاية من صحيح مسلم وصحيح البخاري وسنن أبي داود وسنن النسائي وجامع الترمذي، وتأتي جميعها ضمن أهم كتب الحديث. يأتي على رأس القائمة كذلك أهم خمسة كتب للحديث في المذهب السني. وعند الحاجة لإضفاء الشرعية، يتم النقل من عدة مصادر. ومن الملاحظ دائماً اقتباس الحديث دون الإشارة إلى إسناده، عادةً عندما يجد مسئولو الدعاية أن مصدر الحديث يعد أقل غلظة^(١). وبينما يتم في العادة اقتباس الآيات القرآنية دون وضعها في سياق، يستخدم الجهاديون الأحاديث على نطاق أكثر اتساعاً مع تفسير من علماء الحديث (الأمر الذي يبدو متناقضاً مع رفض العلوم الدينية كـ«بدعة»). وتمثل نسبة الإشارة إلى الأحاديث في الدعاية ٢٢٪.

فعند تبريرها لحرق الطيار الأردني معاذ الكساسبة في فبراير ٢٠١٥، لم تقتبس داعش سوى ستة أحاديث نبوية للتدليل على العقاب بالنار وصحة أفعال الخليفة^(٢). ويمكن القول بأن هذه الاستجابة قد تم تحفيزها بالإدانة العالمية لهذا الفعل من قبل المسلمين حول العالم (بما في ذلك جهاديون) في إشارة إلى الحديث الذي رواه أبو داود «لا يُعاقب بالنار إلا رب النار». وتثبت ردود

(١) ومثال على ذلك الحديث النبوي القائل «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين»، انظر: Al-Uruppi, "Sincere Advice from a Muhajir": 15.

(٢) "Responding to the Doubts", *Dabiq*, no. 7, *From Hypocrisy to Apostasy: The Extinction of the Grayzone* (٢) (Rabi al-Akhir 1436 AH.): 25-26.

الأفعال الدفاعية لدى داعش أن النصوص القرآنية لا تهتم الجهاديين، كما أنها تظهر تشككهم في أن النصوص الدينية قد تدين أفعالهم.

لكن يمكن تفسير استخدام الجهاديين للحديث كوسيلة أخرى لتأصيل الحركة في هوية الجماعة السنية. ويرتبط أتباع السنة بشكل وثيق بهوية «أهل السنة»؛ حيث إن لفظ السنة نفسه هو ما خلفه النبي من موروث وسجل في أحاديثه. وعلى الرغم من أن هذا الاستخدام للفظ لا يعد طائفيًا في حد ذاته، فإن الإشارة إلى الأحاديث يمكن رؤيتها كوسيلة لإقصاء الأقليات (بما في ذلك الشيعة الذين يختلف موروث الأحاديث لديهم عن أهل السنة) بما يشكل هوية أكثر إقصاءً متأصلة في استخدام النصوص الدينية.

وبعيدًا عن الإشارات إلى النصوص الدينية، دائمًا ما يتلاءم أسلوب ونبرة القرآن في التصريحات الجهادية المعاصرة. وغالبًا ما تستخدم التصريحات المجازات القرآنية الخاصة بـ«مخاطبة المسلمين» والتغني بالإشارات المتعددة إلى القتال بالنيابة عن الأمة. ونظرًا للطبيعة الشعرية التي اتسمت بها بعض السور القرآنية، فإن الجماعات الجهادية المختلفة قد فسرت بعض الفقرات بأشكال مختلفة: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

يُطبق تنظيم القاعدة هذه الآية على مفهوم الانغماسي من خلال اعتبار رذيلة «تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» نوعًا من «التغافل عن الجهاد» بدلًا من اعتباره فداء دون مكسب. ولقد أكسب هذا التفسير، على سبيل المثال، أبعادًا جديدة لمعنى الآية بعيدًا عن الإدراك السائد لها؛ حيث تُقدّم ترجمة غير معتادة لعبارة «في سبيل الله» كـ«شتى أنواع الجهاد»؛ في حين تُفسر جبهة النصرة هذه الآية كدعوة دنيوية بآلا «يمسك الناس الثروة التي منحها الله إياهم» أثناء شهر رمضان. وقد تؤدي هذه الخلافات، تحديدًا فيما يتعلق بالفهم النسبي للغة الشعرية، إلى التقليل من شأن ادعاء الجهاديين حول اليقين التام من فكرهم.

إلا أنه يتم استخدام بعض الإشارات القرآنية بشكل متنسق من قبل جماعات مختلفة، مما يشير إلى اتساقهم جميعًا في استخدام النصوص الدينية. فتعد الآية المأخوذة من سورة البقرة، تحديدًا التي استخدمها كل من المتحدث باسم داعش أبي محمد العدناني في أحد تصريحاته، وجبهة النصرة،

(١) «سورة البقرة»، في القرآن الكريم: الآية ١٩٥.

تجسيدًا واضحًا لاستمرار الجهاد الدفاعي: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَبْلَغُوا﴾^(١). وفي ظل سياق نهاية الزمان، فإن تفسير هذه الآية يعد أمرًا رئيسيًا لإثبات استمرارية الجهاد حتى نهاية الزمان.

كيف تستفيد الجماعات الجهادية من النصوص الفقهية؟ أو ترفضها؟

وبعيدًا عن الإشارات القرآنية والأحاديث، تستند الدعاية الجهادية إلى بعض المساحات الفقهية التي تؤكد شرعيتها الدينية، على الرغم من أن السلفية الحركة الكبرى التي تشمل الجماعات الثلاث، تدين أي نوع من الفقه على أنه بدعة وابتعاد عن الإسلام الحق الذي اتبعه النبي وأصحابه. وإحدى النتائج التي توصل إليها البحث هي أن الجماعات تسعد باقتباس المصادر الدينية المصدقة عندما تناسب أجندتهم الأيديولوجية.

الفقه السلفي / غير السلفي

تُظهر الدعاية تطبيقًا واسعًا للفقه واستخدام التراث الثقافي الإسلامي. ومن المثير للاهتمام على وجه الخصوص تعدد الفقهاء الذين أُشير إليهم في الدعاية دون أن يكون لهم أي انتماءات سلفية أو حنبلية.

وتشير الدعاية إلى وجود فقهاء من عدة مذاهب، بما في ذلك الحنبلية والشافعية والمالكية، تمت الإشارة إليهم لدعم أهداف وسلوك الجماعة. وكان أكثرهم اقتباسًا في هذا الإطار ابن تيمية، الفقيه الإسلامي الذي عاش إبان العصور الوسطى، وكان من أتباع المذهب الحنبلي؛ والبيهقي والنووي والماوردي من المذهب الشافعي؛ والقرطبي وعطية من المذهب المالكي. إلا أن الإشارات لم تقتصر على هؤلاء فحسب؛ ففي الواقع تم اقتباس ٤٥ فقيهًا مختلفًا في العينة، مع احتمال زيادة العدد في عينة أكبر. وكان المذهب الحنفي هو أقلهم تمثيلًا في العينة على الرغم من كونه أحد المذاهب الأساسية. وهناك حاجة إلى مزيد من البحث لفهم الثقافة الدينية والمعرفية التي يتم الترويج لها في الدوائر والدعاية السلفية الجهادية، وتفسير لم يتم إدراج الفقهاء الحنفية في العينة.

(١) «سورة البقرة»، في القرآن الكريم: الآية ٢١٧.

لوحظ خلال الدراسة الإشارات المتكررة إلى «إحياء علوم الدين» للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي في دعاية كل من داعش وتنظيم القاعدة بشبه الجزيرة. يعد الغزالي مرتبًا بالصوفية بشكل كبير، ويُشار عادةً إلى كتابه اختصارًا بـ«الإحياء» نظرًا لشهرته الفائقة؛ حيث يتناول الروحانيات الإسلامية. لكن النظرة المتفحصة «للإحياء» تُبين بعض الصفات المشتركة بينه وبين الدعاية الجهادية؛ فمثلًا يخصص الغزالي فصولًا بعنوان «الصبر والشكر» و«التوحيد والتوكل» (ربع المنجيات)، و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» و«آداب الألفة والأخوة والصحبة» (ربع العادات) وهي نفس المصطلحات المستخدمة في الدعاية الجهادية؛ مما يُجسد إلى حد ما اعتمادها على التراث الفكري الإسلامي. وعندما تتوجه مثل هذه الدعاية للجمهور العربي تكون الإشارة إلى هذه الأعمال التراثية العظيمة مثيرة للإعجاب وتسهم في الشعور بالارتباط وبناء الثقة في بقية المصادر. ولغير الناطقين بالعربية، فقدمت الإشارات المتعددة للتراث المتاح فرصة للاشتباك مع جدال ربما يكون جديدًا عليهم. وتخلق هذه الإشارات أيضًا لفقهاء ذوي حيثة كبيرة من مختلف المذاهب وهما بمجتمع ضخم جامع شامل عابر للقومية.

وتذهب هذه الإشارات المختلفة إلى أن التفسيرات السلفية أو الحنبلية لم تعد تُستخدم وحدها في الدعاية؛ حيث تم التوسع في استخدام التراث الفكري، لكن التركيز على السلفية الجهادية جعلنا نتغافل عن مواد أخرى. فقد أظهر البحث أن الدعاية الجهادية أشمل مما يبدو عادةً، وغالبًا ما ستستمر محاولات الجماعات الجهادية في الدعاية للجهاد ليس كحالة فعلية لكن كطريق للتحقق الروحاني، بالتوافق مع الإشارات العريضة والموسعة من مختلف الفقهاء، التي نلاحظها في الدعاية الحالية. سيكون على السرديات المضادة، إذًا، تجسيد هذه المقاربة الكلية لتأطير الجهاد، والعمل على تضمين تراث فكري متعدد.

رفض النصوص الفقهية

بينما تستخدم دعاية الجماعات الثلاث اقتباسات كثيرة من مختلف الدوائر الفقهية، لدينا دلائل متكررة على رفض أجزاء من الفقه. يوجد هذا التناقض في الجماعات الجهادية الثلاث عمومًا، لكنه يظهر في دعاية داعش على وجه الخصوص في شكل علاقة مختلة وظيفيًا مع الفقه. فيشير العدناني عدة مرات إلى بعض الفقهاء كـ«حمير العلم»: «أنظر بمنظور الشرع والدليل،

ثم لا تلتفت إلى فتاوي حمير العلم التي زلت، وفي القاذورات سقطت، فلا يغرّنك سيظهم الذي ذاع وإن كان لهم في الكتابة والتأليف سابقٌ وباع، فلا أحضان الطواغيت هجروا، ولا إلى الجهاد نفروا^(١).

وفي هذه العينة تستخدم داعش نفس العبارات التحقيرية عند الإشارة إلى الفقهاء في العديدين التاسع والعاشر من مجلة دابق، وفي مواد دعائية أخرى.

المنهجية

استخدم هذا البحث قاعدة دلائل بتحويل المواد الكيفية للدعاية إلى بيانات كمية. نستعرض في هذا الجزء المنهجية المستخدمة في البحث، وأصل المصادر، وكيفية تصنيف الدعاية، والتحديات المنهجية التي تعين التغلب عليها.

نظرة عامة

أجري تحليل دقيق من خلال عملية تصنيف أكثر من مائة مصدر دعائي من داعش وجبهة النصرة وتنظيم القاعدة. قدمت لنا هذه المقاربة المبتكرة - تطبيق تحليل بيانات كيفية لدراسة الأيديولوجية والدعاية الجهادية - الفرصة للحصول على دلائل دقيقة قابلة للعد وثرية بالتحليل على حد سواء. ويعد هذا المزج هاماً بمكان لإدراك أهمية الفروق الدقيقة مع رسم الصورة الكاملة.

باستخدام برنامج تحليل البيانات الكيفية نفيفو، تم تصنيف مصادر كل جماعة لتحديد الموضوعات المتكررة، والإشارات إلى القرآن، والحديث، والفقهاء، والتناقضات في النص واللغة والمصطلحات. ثم أُجري تحليل على مستوى ثانٍ بدمج النتائج الكمية مع الكيفية وتطبيقها على إطار تحليلي مصمم لتجميع الموضوعات المشتركة واستبعاد الموضوعات الأخرى لفحص الأنماط والاختلافات في النصوص عبر العينة.

(١) «كلمة صوتية للشيخ أبي محمد العدناني - حفظه الله - (يا قومنا أجيئوا داعي الله)».

ضمت عينة البحث المواد الرسمية الصادرة من الجماعات الثلاث فقط، لكن المصادر تنوعت وتعددت باختلاف نوع وطبيعة المواد الدعائية بين مجالات وتصريحات مكتوبة ومسموعة وأناشيد بالإضافة إلى مقاطع الفيديو المصورة. ولجأنا إلى المواد باللغتين العربية والإنجليزية لضمان تحليل متكامل للمحتوى الأيديولوجي للجمهور غير الناطق بالعربية وغير الناطق بالإنجليزية.

لأغراض تبسيط وترتيب المواد المستخدمة في البحث، استخدمت الأطر الزمنية للتنقية حيث اعتمد إطار زمني واسع؛ من دخول داعش سوريا في إبريل ٢٠١٣ حتى يوليو ٢٠١٥، وتم تحليل المواد الصادرة فقط في هذه الفترة، لكن تم السماح ببعض المواد التي صدرت قبل إبريل ٢٠١٣ فقط إذا تمت الإشارة إليها في الفترة التي يركز عليها البحث.

وبتحليل وتصنيف محتوى الدعاية الجهادية أمكن تحديد وتعديد وتقييم مدى هيمنة الموضوعات المتكررة وقياس أهميتها بناءً على تكرارها في العينة. وسمحت هذه المقاربة المقارنة بتقييم الاتساق الأيديولوجي بين مختلف الجماعات، ومن ثمّ التوصل إلى نتائج خاصة بكل جماعة على حدة وبشكل عام في نفس الوقت. وأمكنت عملية التصنيف أيضاً توضيح الترابط الداخلي للموضوعات داخل الأيديولوجية؛ مما أظهر تماسكاً داخلياً قوياً.

معايير اختيار المصادر

وقع الاختيار إجمالاً على ١١٤ مصدرًا، تشمل ٤٨ دعاية لتنظيم القاعدة، و٤٠ لداعش، و٢٦ لجهة النصرة. تقرر تضمين المصادر الرسمية فقط في العينة لعكس الموقف المركزي تجاه قضايا وموضوعات بعينها بدقة. ومن المهم بمكان تحديد المنابر الرسمية؛ حيث تزايدت الدعاية الجهادية غير الرسمية وغير المركزية. لأغراض هذا البحث، ركزنا على المصادر الرسمية فقط لتمثيل الأيديولوجية المركزية للجماعات. ولكن هناك حاجة، ربما في بحثٍ قادم، لتقييم مدى اختلاف المصادر الرسمية عن غير الرسمية فيما يتعلق بالأيديولوجية والسردية.

وللتأكد من مصداقية كل مصدر وصفته الرسمية، تم تطبيق إطار عمل بسيط ليتضمن فقط المصادر التي أنتجتها أو نشرتها جهات إعلامية رسمية مرتبطة بالجماعات الثلاث. ومن ثمّ، تضم العينة مواد من سبع منصات إعلامية مختلفة.

المصادر الأساسية للبيانات تجمع مواد الجماعات الثلاث

جاءت جميع المواد من أرشيفات على شبكة الإنترنت، وكانت مدونة آرون زيلين جهادولوجي jihadology.net وموقع أيمن جواد التميمي aymennjawad.org مستودعين مفيدين للدعاية الجهادية يتضمنان إصدارات ومقاطع فيديو وخطبًا مسموعة ومقروءة. وكانت مدونة التميمي مفيدة لمصادر الأناشيد الرسمية لمختلف الجماعات على وجه الخصوص، بالإضافة إلى الصور المستخدمة في اللافتات الإعلانية في الأراضي التي تخضع لسيطرة داعش وجبهة النصرة. وقدمت مدونة زيلين مصدرًا مهمًا لمقاطع الفيديو والإصدارات والتصريحات لمختلف الجماعات الجهادية الدولية، ووفرت أرشيفًا يرجع لعام ٢٠٠٨. ويمكن البحث في المواد بالتاريخ أو الجماعة أو الموضوع. كذلك قدّمت مدونة بيتر فان أوستاين pietervanostaeyen.wordpress.com نقطة مرجعية إضافية لمختلف المواد المنسوبة إلى الجماعات الثلاث.

الجماعة	المنصة الإعلامية الرسمية
الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)	مؤسسة الفرقان الإعلامية مركز الحياة الإعلامي مؤسسة أجناد للإعلام مؤسسة الاتسام منصات محلية مثل مكتب الرقة الإعلامي
جبهة النصرة	مؤسسة المنارة البيضاء للإنتاج الإعلامي
تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية	مؤسسة الملاحم للإعلام

جدول ٧-١: المنصات الإعلامية الرئيسية لتجميع مواد الجماعات الجهادية.

تصنيف المصادر

بعد تجميعها، أُدخلت البيانات برنامج نفيو لتصنيفها بناء على تاريخ الصدور، والمنصة الإعلامية التي أنتجتها، والجمهور المستهدف من مسلمين، أو غير مسلمين، أو خليط من الاثنين. وكان تحديد الجمهور المستهدف الأكثر غموضًا وإرباكًا، لكن كان هناك بعض الإشارات التي تعبر عنه. فمثلًا المواد الموجهة إلى الجمهور المسلم فقط تضمنت تعبيرات إسلامية وإشارات قرآنية متعددة، في حين يختفي كل هذا عند استهداف جمهور غير مسلم. ولم يكن استثناءً ذكر الجمهور المستهدف صراحةً في البداية. لكن ما تطلب دقة أكبر كانت المواد الموجهة إلى جمهور مختلط، وكانت إحدى سماتها المشتركة مزج أساليب الترغيب والترهيب لكسب الجمهوريين. لذا، صُنفت هذه المصادر كخليط، وكان معظمها مواد من مجلات وإصدارات مصممة عمومًا لجمهور مسلم. ومن ثم، يمكن اعتبار هذه المقالات بمثابة «ترفيه» للجمهور المسلم المتعاطف، ومصممة لتدشين استخدام العنف من أجل القضية.

تحليل المضمون

خلال مرحلة التصنيف، تم تحديد الموضوعات (أو العُقد) لجمع وتصنيف جوانب أيديولوجية محددة. في البداية، كانت الموضوعات أطرًا عامة مبنية على التوقعات التقليدية من الدعاية الجهادية؛ لكن عند ظهور الإشارات في المواد قيد البحث، تم تصنيفها لأغراض التحليل.

ومع تطور عملية التصنيف، تم تحديد موضوعات أكثر تفصيلاً عند ظهورها في المصادر. وجاءت المقاربة المبنية على الأغراض لتسمح بتصنيف أدق وتحليل أشمل، وتؤكد أن تصورات الباحثين المسبقة لم تؤثر في النتائج. هدف تصنيف الموضوعات إلى تحديد المضمون في عناصر بعينها قابلة للتحليل، وسمح بتحديد البيانات الكيفية بدقة وسهولة لأغراض قياس سيطرة موضوع معين على بقية الموضوعات.

الموضوعات المصنفة	
<p> الجهاد الدفاعي الجهاد الهجومي تدمير التراث إذلال العدو (تبرير) الهجوم الرحمة المنهج النبوي العبودية استهداف المدنيين حلفاء الله القيادة الأمة المستضعفون العالمية (إزالة الحدود) الدفاع عن المقهورين (العدالة) نهاية العالم إسناد النصر إلى الله الأخوة الشرف الإحسان الإيمان الولاء الشهادة الحياة الآخرة الصبر القضاء والقدر التوحيد الحق مقابل الباطل والخير مقابل الشر </p>	<p>موضوعات (عقد) أيديولوجية</p>

الموضوعات المصنفة	
<p>العدو الأقصى العدو الأدنى (نهاية) الإذلال التحرر الخلافة بناء الدولة توحيد الأمة التكفير/ الطائفية رفض النصوص رفض القومية نبل الجهاد</p>	<p>موضوعات (عقد) أيديولوجية</p>
<p>ربط الماضي والحاضر مخاطبة العدو مباشرةً عوامل الجذب عوامل الدفع التعليقات الجغرافية - السياسية التعليقات الإعلامية وضع الصراع في إطار رومانسي الثنائية الماضي المجيد</p> <p>مصادر السرد</p> <p>الإشارات القرآنية الإشارات الحديثية الفقه والتفسير البلاغة الشعرية الشعر (العربي)</p>	<p>موضوعات (عقد) سردية</p>

جدول ٧-٢: موضوعات الدعاية مصنفة تبعًا للأيديولوجية أو السردية.

صُنّف كل موضوع أو عقدة حسب ظهوره في أيديولوجية أو سردية. موضوعات الأيديولوجية هي الموضوعات المبنية على المعتقدات الدينية أو السياسية كما أطرتها الجماعات. وتم ترتيبهما بعدها تبعاً للإطار التحليلي المستخدم لتوضيح المكونات الأساسية لنظام المعتقدات الذي يُشكّل أيديولوجية الجماعة. بعض الأمثلة على الموضوعات الأيديولوجية هي الشهادة (كأحد مكونات قاعدة القيم عند الجماعات) أو تأسيس الخلافة (كأحد مكونات أهداف الجماعات). واعتُمد نفس المنطق في تحديد الموضوعات التي تعمل كسردية أو عقد. وأحد الأمثلة الواضحة هو وضع الصراع في إطار رومانسي.

تم أيضاً تصنيف الإشارات القرآنية والحديثية، وكذلك أعمال الفقهاء؛ وتمت دراستهما وتحليلهما لاحقاً لتحديد وضعهما في مواد البحث وعلاقتها بالموضوعات.

وتم أيضاً تصنيف اللغة والأسلوب من حيث البلاغة واللغة الشعرية؛ مما أضاف بعداً جديداً للتحليل؛ حيث قورنت النتائج بالموضوعات والصفات بالمصادر. وسمح هذا مثلاً بمقارنة اللغة المستخدمة في المصادر المختلفة عند الجماعات الثلاث، وعند تناولهم موضوعاً معيناً أو توجههم لجمهور محدد. وتم تصنيف أي تغير في الأسلوب اللغوي للتحليل اللاحق، وتم تصنيف جميع عقد اللغة الأسلوبية كروابط للسردية.

المصادر العربية والتصنيف

حتى الآن، لا يتوافر برنامج حاسوبي لتحليل البيانات الكيفية، يتناسب مع اللغة العربية؛ مما عنى ضرورة ترجمة بعض المواد لتحليل شامل ومتكامل. أستخدمت الترجمة الرسمية التي اعتمدها وسائل الإعلام التابعة للجماعات كلما توافرت، وفي غير ذلك، اعتمدنا ترجمات فريق البحث مع مراعاة الانحياز التفسيري عند استخدام الترجمات غير الرسمية. لم يترجم فريق البحث الإشارات القرآنية والحديثية، بل تم اعتماد الإشارات المتوافرة نفسها أو استخدام الترجمات المعتمدة. وبالنسبة إلى مقاطع الفيديو بالعربية، فتم اعتماد ملاحظات فريق البحث عند التصنيف.

المؤلفون

إيمان البدوي: باحثة دكتوراه في معهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة إكستر. تركز اهتماماتها البحثية على دور السياسات التعليمية وتأثيرها في الهوية والمجتمعات في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وتساعد التطرف الإسلامي العالمي، والطائفية الإقليمية. وهي تعمل في مجال مكافحة الإرهاب والتطرف الإسلامي. قامت بتدريس السياسة والاقتصاد في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والحركات الإسلامية في جامعة إكستر كمساعد للدكتور عمر عاشور. شغلت منصب خبير صوتي بهيئة الإذاعة البريطانية حول سياسات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والتطرف الإسلامي العالمي منذ عام ٢٠١٤. وتقدم الاستشارات للمؤسسات التي تعمل بالإقليم، وتقدم أيضًا خبراتها حول صياغة الامتحانات الدولية للمدارس بمصر، التي تُدرس نظام الدبلوماسية البريطانية.

ميلو كوميرفورد: باحث في مركز الدين ودراسات الجغرافيا السياسية بمؤسسة توني بلير منذ بداية عام ٢٠١٤؛ حيث يُركّز على منطقة جنوب ووسط آسيا؛ فإن اهتماماته البحثية تشمل صياغة السياسات الدولية حول مكافحة الإرهاب، والصراع في كل من أفغانستان وباكستان، والقومية الهندية، وتطور الخطاب البلاغي والدعاية الجهادية. يدرس كوميرفورد الفلسفة واللاهوت بجامعة أكسفورد، ويكتب لصحيفة الإندبندنت؛ وقد ظهرت أبحاثه في صحيفتي النيوزويك والديلي بيست.

بيتر ويلبي: مدير التحرير بمركز الدين ودراسات الجغرافيا السياسية. انضم إلى مؤسسة توني بلير عام ٢٠١٣، وقضى عامين قبلها في مصر يدرس اللغة العربية، كما عاش لفترة في اليمن. كتب لكل من صحف النيوزويك وسبيكتاتور والإندبندنت. تحدث في البث المباشر لقناة هففينجتون بوست على الإنترنت، وظهرت أبحاثه في الديلي بيست.

شكر وتقدير

يتوجه المؤلفون بالشكر للمؤسسات والأفراد التالي ذكرهم لما قدموه من وقت وجهد ومصادر وأفكار في عملية البحث وكتابة هذا التقرير، وهم: جوناثان فورمان، والشيخ الدكتور أسامة حسن، وبين هيجينز، ولايث بالاس، وروس مارتين - فيشر، وميلاني سميث، وطاقم العمل في مؤسسة توني بلير.

نبذة عن مركز الدين ودراسات الجغرافيا السياسية

يتجلى التفاعل بين الصراع والدين بشكل جلي في شتى أنحاء العالم. وتتعرض الأيديولوجيات والأحداث السياسية إلى ضغوط دينية، ولا يستطيع صناع السياسات تجاهل المخاطر التي تفرضها الأيديولوجيات الدينية العنيفة، ولكن حتى يتسنى لنا هزيمتها، يجب إدراكها أولاً. ومن خلال التقارير المبنية على أدلة والتعليقات الإعلامية والأحداث الهامة والإحاطات السياسية، يقدم مركز الدين ودراسات الجغرافيا السياسية هذا الفهم الدقيق. فنحن نقدم تحليلاً تفصيلياً حول التفاعل بين الدين والصراع على الصعيد العالمي، كما نقدم خيارات سياسية؛ لتناسب التحدي.